نظرية التلقي في ميزان النقد البلاغي

تطبيقًا على البيان النبوي

(خطبة الوداع نموذجًا)

إعداد

دكتورة / دعاء عبد السلام حامد عبد السلام

مدرس البلاغة والنقد بجامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

نظرية التلقي في ميزان النقد البلاغي تطبيقاً على البيان النبوي

(خطبة الوداع نموذجاً)

دعاء عبد السلام حامد عبد السلام

قسم البلاغة والنقد بجامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ – جامعة الأزهر .

البريد الالكتروني:dr.doaa.salam@gmail.com

الملخص :

يعد (التلقي) نظرية من النظريات التي ظهرت على الساحة النقدية حديثاً، والتي ينصب اهتمامها على (المتلقي) بشكل رئيس في تفاعله مع النصوص الأدبية، ودوره في التأويل الجمالي، وهي وإن ألح عليها النقد الألماني إلا أن الواقع لا ينكر أن لها جذوراً في التراث العربي القديم، فقد أولى النقاد قديماً عناية كبيرة بالقارىء (أو السامع) وتأثره بالعمل الأدبي، وتأثير النص فيه.

وتخصيص البحث بالحديث عن (نظرية التلقي)، من أجل بيان الصلة بين تراثنا البلاغي والمناهج الحديثة، وإبراز أهمية دور القارىء في تفسير النص الأدبي، فالبحث يعد محاولة لتفعيل مهمة النقد البلاغي التي ينبغي أن يتحلى بها كل باحث بلاغي، مستأنسة في هذا بوصايا الإمام عبد القاهر الجرجاني للقارىء في تفاعله مع النص وحثه على الصبر والتأني والتأمل؛ فالغاية سامية، ألا وهي خدمة الأمة الإسلامية.

أما تخصيص هذه الدراسة بالتطبيق على البيان النبوي؛ فلأن جهود البلاغيين قديماً وحديثاً قد توجهت إلى العناية بأسرار القرآن الكريم أكثر من

البيان النبوي، ومن الملاحظ أن الشعر بمختلف عصوره وفروعه قد استحوذ على فكر الباحثين بلاغياً وأدبياً.

ثم اخترت (خطبة الوداع) من أجل الإجراء التطبيقي والتعليق على بعض القراءات البلاغية التي خصتها بالقراءة، ولم يكن هذا الاختيار عشوائياً بل جاء بعد بحث متأن في الدراسات البلاغية الموجودة على الساحة والتي اختصت بالبيان النبوي،

خطة البحث:

بعد المقدمة، يأتي المبحث الأول: التلقي في الفكر العربي والغربي.

المبحث الثاني: التلقي البلاغي للبيان النبوي.

المبحث الثالث: التلقي البلاغي لخطبة الوداع.

نظرية التلقي؛ البيان النبوي؛ خطبة الوداع.

الكلمات المفتاحية : التلقي - النقد – البلاغة – البيان .

The theory of reception in the balance of rhetorical criticism - an application to the prophetic statement (Farewell sermon as a model)

Doaa Abd El Salam Hamed Abd El Salam
Department of Rhetoric and Criticism at Al Azhar University
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Kafr El-Sheikh - Al-Azhar University.
Email: dr.doaa.salam@gmail.com

Abstract :
(Receiving) is one of the theories that have emerged on the critical scene recently, which focuses on (the recipient) mainly in his interaction with literary texts, and his role in aesthetic interpretation, and although German criticism insisted on it, the reality does not deny that it has roots in the ancient Arab heritage, as critics have paid great attention to the reader (or listener) and his influence on literary work, and the impact of the text on it.
And allocating the research to talk about (the theory of reception), in order to show the link between our rhetorical heritage and modern curricula, and to highlight the importance of the role of the reader in the interpretation of the literary text, the research is an attempt to activate the task of rhetorical criticism that should be possessed by every rhetorical researcher, domesticated in this by the commandments of Imam Abdul Qaher Al-Jurjani to the reader in his interaction with the text and urge him to patience, deliberation and meditation;
As for the allocation of this study by applying to the Prophet's statement, because the efforts of rhetoricians, ancient and modern, have been directed to take care of the secrets of the Holy Qur'an more than the Prophet's

statement, and it is noticeable that poetry in its various eras and branches has captured the thought of researchers rhetorically and literarily.

Then I chose (farewell sermon) for the practical procedure and comment on some rhetorical readings that I singled out for reading, and this choice was not random, but came after careful research in the rhetorical studies on the scene, which specialized in the prophetic statement,

Research Plan:

After the introduction, comes the first topic: Reception in Arab and Western Thought.

The second topic: the rhetorical reception of the prophetic statement.

The third topic: rhetorical reception of the farewell sermon.

The theory of reception - the prophetic statement - the farewell sermon

Keywords: reception − criticism − rhetoric − statement.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، وسيد الخلق محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبعد:

فقد شهد تراثنا العربي على مر العصور تطورات مختلفة في الساحة الأدبية والنقدية تناسبت مع الجو السياسي والاجتماعي لكل عصر، ومن أجل مقاومة التدهور الأدبي في أواخر القرن التاسع عشر تطورت واستحدثت بعض الدراسات الأدبية والمناهج النقدية حين اتصل النقد العربي بالآداب الغربية، وقام الأدباء والمفكرون بنهضة أدبية، فظهرت المدارس النقدية الحديثة كمدرسة المحافظين ومدرسة الديوان وغير ذلك.

وبسبب وجود هذا التواصل بين الثقافات فإنه من الواجب على كل عالم ومفكر وهبه الله (تعالى) فرصة الدفاع عن لغته ودينه ألا يقف إزاء هذه الدعوات موقف المشاهد بدعوى أنها مستحدثة بل يجب تناولها بالدراسة والتقويم، وكما قال (مصطفى صادق الرافعي): "أفلا تعلمون أن القديم لا يهدم البتة؛ لأنه هو الذي يبدع الجديد ويشقه فإن هدم في أمة من الأمم زال الجديد بزواله،... وأن سنة الكون في الجديد أنه ترميم في بعض نواحي القديم وتهذيب في بعضها، وزخرف في بعضها الآخر، وإلا لوجب أن يتجدد التركيب الإنساني والتركيب العقلي، وهو ما لم يقع، ولن يقع منه شيء"[(١)]، فلا بد لكل نبت جديد من أرض ثابتة يستقي منها غذاءه حتى يشتد عوده، ويبرز للوجود.

---

(١) – تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ٢١١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٨، ١٩٨٢م.

ويعد (التلقي) نظرية من النظريات التي ظهرت على الساحة النقدية حديثاً، والتي ينصب اهتمامها على (المتلقي) بشكل رئيس في تفاعله مع النصوص الأدبية، ودوره في التأويل الجمالي، وهي وإن ألح عليها النقد الألماني إلا أن الواقع لا ينكر أن لها جذوراً في التراث العربي القديم، فقد أولى النقاد قديماً عناية كبيرة بالقاريء (أو السامع) وتأثره بالعمل الأدبي، وتأثير النص فيه.

ولنتأمل القرآن الكريم كيف تلقاه المفسرون؟ فتفسير ابن عاشور تفسير مقاصدي، وتفسير سيد قطب تفسير أدبي، وتفسير الزمخشري تفسير بلاغي، لقد تميز كل عالم بأسلوب خاص استحق أن يدرس على حده، فلكل مفسر أدواته الخاصة، ولكل متلق قدراته وثقافته.

كذلك البيان النبوي تناوله عدد من العلماء والباحثين كل بأسلوبه الخاص المميز كالجاحظ والشريف الرضي، وضياء الدين ابن الأثير، والرافعي والعقاد، وغيرهم، وكان لبعضهم نظرات بلاغية سواء ركز عليها أم جاءت في ثنايا كلامه وطيات حديثه.

وفي الشعر العربي تناول كثير من النقاد والعلماء وكذلك علماء البلاغة أشعار كثير من الشعراء؛ ليستخرجوا منها القاعدة، ومن أجل إبداء السر البلاغي، والكشف عن جماليات النص، فالمعلقات – على سبيل المثال– وكثير من عيون الشعر عبر العصور تناولها النقاد قدامى ومحدثون كل على طريقته الفكرية، وحسب ما تجود به قريحته، ومن هنا يتحول النص الواحد بأقلام العلماء والمفكرين إلى نصوص كثيرة تضم استشهادات عظيمة وأسرار لغوية أو عقائدية حسب فكر وعقل الناقد الذي يتصدى للنص الأصلي، فيصير النص بعيون هؤلاء جميعاً أصل ونبع فيه ثراء

وإثراء للعروبة والتراث، وفيه دلالة على نضج العربية لغة القرآن الكريم، واستمرارية إلهامها لكل عقل.

ومن هنا جاء إعجابي بفكرة تخصيص البحث بالحديث عن (نظرية التلقي)؛ من أجل بيان الصلة بين تراثنا البلاغي والمناهج الحداثية، وإبراز أهمية دور القارىء في تفسير النص الأدبي، **فالبحث يعد محاولة لتفعيل مهمة النقد البلاغي** التي ينبغي أن يتحلى بها كل باحث بلاغي، مستأنسة في هذا بوصايا الإمام عبد القاهر الجرجاني للقارىء في تفاعله مع النص وحثه على الصبر والتأني والتأمل؛ فالغاية سامية، ألا وهي خدمة الأمة الإسلامية.

أما تخصيص هذه الدراسة بالتطبيق على البيان النبوي؛ فلأن البلاغيين قديماً وحديثاً يعنيهم في المقام الأول الكشف عن أسرار القرآن الكريم وأسرار البيان النبوي، وكلاهما معين لا ينضب، كما أن "التراث الإسلامي تراث تلق، فالقرآن الكريم تلقاه جبريل (عليه السلام)، وتلقى رسول الله القرآن عن جبريل، ثم تلقى المسلمون القرآن الكريم والحديث النبوي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)"[١].

---

[١] – للأمانة العلمية: هذه الكلمات بنصها استمعت إليها من سعادة الأستاذ الدكتور أحمد محمد علي (عبده زايد)، عندما شرفت برده على اتصال هاتفي مني، فكان حديثه ماتعًا مشوقًا رافعًا لهمة كل باحث. وكان مما أخبرني به –أذكره هنا ليس فقط من باب الشيء بالشيء يذكر بل نفعًا لكل باحث: قال سيادته (أ.د/ عبده زايد) أيضًا: "إن مهمة طالب العلم مهمة النحلة تخرج عسلاً بخلاف غيرها من الحشرات التي تدخل البستان، وطالب العلم هو الذي يأخذ العلم من مصادره ويضع عليه بصمته فإن وافق يكون هناك أسباب للموافقة، وإن خالف يكون هناك أسباب للمخالفة، فالكلام الذي لا يُعارض هو =

ثم اخترت (خطبة الوداع) من أجل الإجراء التطبيقي والتعليق على بعض القراءات البلاغية التي خصصتها بالقراءة، ولم يكن هذا الاختيار عشوائياً بل جاء بعد بحث متأن في عدد من الدراسات البلاغية الموجودة على الساحة والتي اختصت بالبيان النبوي، وبالبحث تبين أن (خطبة الوداع) قد حظيت بدراسات عدة، على اختلاف تخصصات الدارسين لها، من مهتمين بالجانب الفقهي والجانب الأصولي والجانب البلاغي، وغير ذلك..، وهذا التنوع في الدراسات مصدره هذا التنوع في الأفكار التي جذبت المتلقي وأثارت اهتمامه، والذي يعنينا من هذه الدراسات تلك الدراسات التي اهتمت بالتحليل البلاغي، وعكفت على بيان جزالة اللفظ ودقة المعنى وجمالية التراكيب.

خطة البحث:

بعد المقدمة، يأتي **المبحث الأول: التلقي في الفكر العربي والغربي**

تناولت فيه مفهوم التلقي ويكشف هذا المبحث عن الصلة بين التلقي والبلاغة في التراث النقدي العربي وعن التلقي في الفكر الغربي، وكيف تقدَّم علماؤنا الأجلاء بقوة في مراعاة المتلقي ونفسيته وأحواله وثقافته.

المبحث الثاني: التلقي البلاغي للبيان النبوي

تناولت فيه نماذج من التلقي البلاغي للبيان النبوي قديماً وحديثاً من خلال الحديث عن الدراسات التحليلية للبيان النبوي، بالتعرف على مظاهر

=

القرآن الكريم وصحيح الحديث الشريف، ولأن يجتهد طالب العلم فيخطيء أحب إليَّ من أن ينقل كلام الآخرين دون مناقشة، ولا يوجد من يملك الحقيقة كاملة".

الاستقبال والتلقي للبيان النبوي عند عدد من القدامي والمحدثين من علماء ومفكرين، ليس فقط من أجل بيان أسرار بلاغة الحديث النبوي بل من أجل بيان جماليات التلقي وإلقاء نظرة على طرائق تفكيرهم وأساليبهم في تلقي النص النبوي وتذوقه وتحليله.

وقد لمحتُ للإمام عبد القاهر الجرجاني إرشادات تعد بمثابة وصايا وتوجيهات مُوَجَّهة للمتلقي تعينه على القراءة الثاقبة للنصوص، وتؤهله لامتلاك آليات القراءة الناقدة ختمتُ بها هذا المبحث.

المبحث الثالث: التلقي البلاغي لخطبة الوداع

محاولة في هذا المبحث الكشف عن بعض القراءات الجادة التي عنت بالتحليل البلاغي للبيان النبوي السامي، وانطلق أصحابها من رؤية بلاغية، وتحديداً تلك الدراسات التي كانت (خطبة الوداع) محط اهتمامها والتي لم تغفل عن دور المتلقي في فهم النص في خطبته النبوية (صلى الله عليه وسلم)، والكشف كذلك عن مدى استجابة خطبة الوداع للقراءات البلاغية، وفي هذا السبيل اصطفيت عدة أبحاث، وراعيت في هذا الاختيار التنوع بين الدراسات المعاصرة في إطار قواعد البلاغة الرصينة أو النظريات الحديثة، والتي تميز أصحابها بالطرح الجديد المميز عما هو منتشر في الساحة النقدية البلاغية فيما يتعلق بخطبة الوداع، فدراسة اهتمت بالأسلوبية، وأخرى في تجليات الحجاج وآلياته في خطبة الوداع، ودراسة بلاغية صرفة تناولت التصوير البياني للنص، وهذا التخير من بين الدراسات جعلني أستشعر ضرورة إرفاق **ببليوجرافيا** لعدد من الدراسات البلاغية لخطبة الوداع، بعد خاتمة هذا البحث، وقبل الفهارس.

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد

المبحث الأول:

التلقي في الفكر العربي والغربي

من أجل وضع ظاهرة التلقي في ميزان النقد البلاغي، كان لا بد من التعرف على ماهية التلقي في معاجم اللغة العربية، والتعرف عليه كذلك في الفكر الغربي كما ظهر حديثاً.

ماهية (التلقي) :

تدور مادة التلقي حول (الاستقبال)، "قال الأزهري: والتلقي هو: الاستقبال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، قال الفراء: يريد ما يلقى دفع السيئة بالحسنة إلا من هو صابر أو ذو حظ عظيم، فأنثها لتأنيث إرادة الكلمة، وقيل في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ أي: ما يعلمها ويوفق لها إلا الصابر، وتلقاه أي: استقبله، وفلان يتلقى فلان أي يستقبله....، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥] أي يأخذ بعض عن بعض، وأما قوله تعالى: ﴿فتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ فمعناه أنه أخذها عنه، ومثله: لقنها وتلقنها، وقيل: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] أي: تعلمها ودعا بها"[(١)].

أما بالنسبة للتعريف الاصطلاحي فلا يوجد تعريف محدد متفق عليه، غير أن المتفق عليه أنها نظرية أعطت عناية كبيرة للمتلقي، ويوضح (ياوس) مفهوم التلقي بأنه: "معنى مزدوج يشمل الاستقبال أو التملك

[(١)] – لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأفريقي، ٢٥٦/١٥، دار صادر– بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

والتبادل معاً"[١]، كذلك يطلق على هذه النظرية عدة مصطلحات كالاستجابة والاستقبال والقراءة والفهم، وهذا كله سببه الترجمة، يقول د. عز الدين إسماعيل: "الترجمة الحرفية للمصطلح هي (نظرية الاستقبال) لكننا فضلنا استخدام كلمة (التلقي)؛ لأنها أقرب إلى الدلالة المقصودة، وهي تلقي القاريء للنصوص الأدبية"[٢].

الصلة بين التلقي والبلاغة في النقد العربي القديم

الناظر في القراءات النقدية القديمة في تراثنا العربي يجد أن النقاد والبلاغيين قد عنوا بأطراف العملية الإبداعية الثلاثة: المبدع والنص والمتلقي.

فبلاغة الكلام هي: "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف. فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف.... وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام.... وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول

---

[١] – جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت ياوس، ترجمة: رشيد نبحدو، ١٠١، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.

[٢] – نظرية التلقي (مقدمة نقدية)، تأليف: روبرت هولب، ترجمة: دكتور/ عز الدين إسماعيل، حاشية ص ٢٥، المكتبة الأكاديمية، ط١، ٢٠٠٠م.

بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب"[1].

أما عن بلاغة المبدع: فيقول **الجاحظ** (ت: ٢٥٥هـ): "ينبغي **للمتكلم** أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[2].

ومما يدل على أن **بلاغة المبدع** لها تأثير كبير في تشكيل رأي المتلقي وتوجيه فكره، ما قاله **ضياء الدين ابن الأثير** في فن الاستدراج: "وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله (تعالى)، وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال، والكلام فيه – وإن تضمن بلاغة– فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، وإذا حُقّقَ النظر فيه عُلِمَ أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة والمعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها.... فإذا لم يتصرف

---

[1] – الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، ٤١–٤٣، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣.

[2] – البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ١٣١/١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده، وإلا فليس بكاتب، ولا شبيه له إلا صاحب الجدل"[١].

ويوضح ابن الأثير كيف أن **النص** الذي يسوغه المبدع يمكن أن يكون له السيطرة على المتلقي بما يحمله من أفكار حين يؤثر فيه بطريقة ما فيدعوه إلى الاقتناع والإذعان والتسليم لما قصده المؤلف.

كما يشير **الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)** إلى ضرورة تنويع **المبدع** في أسلوبه؛ كي تأنس نفس المتلقي وتزداد ثقته بما يسمعه، يقول: "أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكنيّ، وأن تردَّها في الشيء تُعَلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم.... نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس....؛ لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضُل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام....، وكما قالوا: ليس الخبر كالمعاينة، ولا الظن كاليقين"[٢].

وهو نفس ما رآه **حازم القرطاجني (٦٨٤هـ)**: "ويحسن أيضاً أن يقصد تنويع الكلام من جهة الترتيبات الواقعة في عباراته وفيما دلت عليه بالوضع في جميع ذلك، والبعد به عن التواطؤ والتشابه، وأن يؤخذ الكلام من كل

---

[١] – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ٢٠٥/٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

[٢] – أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، ١٢١، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

مأخذ حتى يكون كل مستجد بعيداً من التكرار، فيكون أخف على النفس وأوقع منها بمحل القبول"[١].

وهكذا فقد اهتم النقاد قديماً بتوجيه **المبدع** إلى ضرورة الافتتان في أسلوبه والتنويع حتى تكون نفس المتلقي أكثر قبولاً للعمل الإبداعي، وهذه وسيلة أخرى – تضاف إلى الأولى، وهي مراعاة حال المخاطب–؛ لضمان جذب المتلقي وبقائه متأثراً وفي معية النص حتى الانتهاء منه.

المتلقي:

وكما تحدث علماؤنا عن دور المبدع وضرورة عنايته بالنص، تحدثوا كذلك عن دور **المتلقي** ومراعاة حاله، يقول **الجاحظ** : "فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة وتنسب إلى هذا الأدب، فقرضت قصيدة أو حبرت خطبة أو ألفت رسالة، فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك، أويدعوك عجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدعيه ولكن اعرضه على العلماء.... فإن رأيت الأسماع تصغي له.... ورأيت من يطلبه ويستحسنه فانتحله.... فإذا عاودت أمثال ذلك مراراً فوجدت الأسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية فخذ في غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه"[٢].

ويتبين من كلام الجاحظ مدى مراعاته لحال المتلقي، وكيفية استقباله، ودرجة تذوقه للنص إذ أعطاه أهمية كبيرة في تقييم النص باستحسانه أو الانصراف عنه.

---

[١] – منهاج البلغاء وسراج الأدباء ١٦.

[٢] – البيان والتبيين ١/١٧٧.

أما عن **مستويات المتلقي** فمنها ما ذكره **الباقلاني (ت٤٠٣هـ)** عن كيفية الوقوف على إعجاز القرآن، وتنوع حالات المتلقي، فالمتلقي إما أعجمي أو عربي جاهل بالفصاحة، أو متخصص في فرع من علوم العربية دون غيره أو بليغ، يقول: "[الأول] لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن إلا بأن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك. فإذا عرفوا هذا.... تبينوا أنهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل ذلك اللسان فهم عنه أعجز. [الثاني] وكذلك نقول إن من كان من أهل اللسان العربي – إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام، ووجوه تصرف اللغة وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره – فهو كالأعجمي....، وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء. [الثالث] فأما من كان قد تناهى في معرفة اللسان العربي، ووقف على طرقها ومذاهبها فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وسع المتكلم من الفصاحة، ويعرف ما يخرج عن الوسع، ويتجاوز حدود القدرة، فليس يخفى عليه إعجاز القرآن كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر وكما يميز بين الشعر الجيد والرديء، والفصيح والبديع، والنادر والبارع والغريب"[١].

فالمتلقي متذوق للنص يسهم في إنتاج المعنى، يقول **الإمام عبد القاهر الجرجاني:** "واللفظ يشارك العسل في الحلاوة، لا من حيث جنسه، بل من جهة حكمٍ وأمرٍ يقتضيه، وهو ما يجده الذائق في نفسه من اللذة.... وأن

[١] – إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ١١٣بتصرف، دار المعارف – مصر، ط٥، ١٩٩٧م.

القصد أن يخبر بأن السامع يجد عند وقوع هذا اللفظ في سمعه حالةً في نفسه شبيهة بالحالة التي يجدها الذائق للحلاوة من العسل"[١].

وفي كتابه (دلائل الإعجاز) تناول الجانب النفسي للمتلقي، يقول: "اعمد إلى ما تواصفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل، ثم اجعله كذلك من أجل (النظم) خصوصاً، دون غيره مما يستحسن له الشعر أو غير الشعر، من معنى لطيف أو حكمة أو أدب أو استعارة أو تجنيس أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم، وتأمله، فإذا رأيتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت، فانظر إلى حركات الأريحية مم كانت؟ وعند ماذا ظهرت؟"[٢]، ويفهم من كلام **الإمام عبد القاهر الجرجاني** أن التلقي عبارة عن تذوق فإما استحسان واستساغة وأريحية أو رفض ونفور.

والأثر النفسي للمتلقي تناوله أيضاً **حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)** فالكلام يكون أكثر قبولاً ويزداد حسناً لدى المتلقي "بالمراوحة بين بعض فنونه وبعض، والافتنان في مذاهبه وطرقه، فيزداد حب النفس لما يرد عليها من ذلك إذا كانت زيادته غبا"[٣].

---

[١] – أسرار البلاغة ٩٨.

[٢] – دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ٨٤، ٨٥، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

[٣] – منهاج البلغاء وسراج الأدباء ٣٠٢.

التلقي في الفكر الغربي

إن نظرية التلقي التي صدرت عن النقد الألماني في ستينيات القرن العشرين، صاغها وشكل ملامحها النهائية كل من هانز روبرت ياوس (١٩٢١-١٩٩٧م) وفولفجانج إيزر (١٩٢٦-١٩٩٧م)، إلا أن الذي استطاع أولاً لفت الأذهان إلى دور المتلقي هو (جون بول سارتر) حيث تحدث في كتابه: (ما الأدب؟) عن العملية الإبداعية من خلال طرح عدة أسئلة، مثل: ما الكتابة؟ ولماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟

وفي مقدمة كتاب (نظرية التلقي) ذكر مؤلفه (روبرت هولب) – حسب ما ترجم عنه– "والهدف الأساسي من الدراسة الآتية هو تقديم نظرية التلقي إلى أولئك الذين يعرفون الألمانية معرفة ضئيلة أو لا يعرفونها.... وعلى الرغم من أن الجمهور الذي أَسْتَهْدِفُهُ جمهور غير ملم بالساحة النقدية الألمانية، فإنني على ثقة من أن ما كتبته سيكون له شيء من الأهمية لدى النقاد الذين لهم معرفة أفضل بالاتجاهات الجديدة في الثقافة الألمانية"[١]، وهذا يعد إقرار منه بأن الاهتمام بالتلقي – الذي كان محط أنظار العرب قديماً– يعد اتجاهاً جديداً في الثقافة الألمانية!

ياوس وإيزر

إن "التفسير الذي فهم على أنه نشاط القاريء في فهم النص هو بؤرة نظرية ياوس، والشيء نفسه يصح بالنسبة إلى إيزر"[٢].

---

[١] – نظرية التلقي (مقدمة نقدية) ٢٩.

[٢] – المرجع السابق ٢٢٥.

و"أطلق (ياوس) على منهجه الجديد اسم (جماليات التلقي)، ومن حيث المعنى الواسع لهذه التسمية يمكن أن نفهم أنها جزء من الانتقال بدراسة الأدب من الانشغال الكامل بالنصوص ومؤلفيها إلى الاهتمام بالقراءة والتلقي. فراح أتباع الاتجاه الألماني ينادون بانتقال البحث من العلاقة بين الكاتب ونصه إلى العلاقة بين القارىء والنص"[١].

ويلحظ أن "كلاً من إيزر وياوس ينهي أكثر أفكاره النظرية إقناعاً، والمتعلقة بالتلقي أو الاستجابة ينهيها بفقرات عن الاتصال.... وفي وسع المرء أن ينتهي في يسر إلى أن نظرية التلقي لا بد أن تبلغ مداها في نظرية أعم في الاتصال أو أن تصنف في طريقها. وهذا على وجه التحديد هو الوجه الذي اتخذه كل من ياوس وإيزر في تصريحاتهما النظرية اللاحقة"[٢]، "والهدف الأخير لهذا على الرغم من أنه ما زال بعيداً عن التحقق، هو نظرية عامة في الاتصال متداخلة الاختصاصات"[٣].

إنتاج المعنى

يرى (إيزر) أن عملية التواصل الإبداعي تشمل النص والقارىء معاً، يقول: "إن العمل الأدبي ليس نصاً تماماً وليس ذاتية القارىء تماماً، ولكنه يشملهما مجتمعين أو مندمجين. وترتيباً على هذا يرسم (إيزر) الحدود بين ثلاثة ميادين للاستكشاف: أما الميدان الأول فيشتمل على النص بما هو

---

[١] – نظرية التلقي في ضوء الأدب المقارن، الدكتور/ سيد فضل الله ميرقادري، الدكتور/ حسين كياني، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد ١٨، ص٩، البحث من ١–٢١، ربيع ١٣٩٠هـ – ٢٠١١م.

[٢] – نظرية التلقي (مقدمة نقدية) ١٦٦.

[٣] – المرجع السابق ١٦٧.

موجود بالقوة للسماح بإنتاج المعنى واستغلاله.... وأما الميدان الثاني ففيه يفحص (إيزر) عملية معالجة النص في القراءة، وهنا تكون للصور العقلية التي تتشكل في أثناء محاولة بناء موضوع جمالي متناغم ومتلاحم أهمية قصوى. وأخيراً فإنه يلفت إلى بنية الأدب الإبلاغية؛ لكي يتفحص الشروط التي تسمح بقيام التفاعل بين النص والقاريءء وتَحْكُمُه. وكان (إيزر) يأمل بالنظر في هذه المناطق الثلاث في أن يوضح لا كيف يتم إنتاج المعنى فحسب بل الآثار التي يحدثها الأدب كذلك في القاريء"[١].

ولاهتمامهم بالقاريء فقد أطلقوا عليه عدة مسميات لها علاقة بمدى التفاعل بين النص والقاريء، ومن هذه المسميات (القاريء الضمني)، "إن المصطلح يدمج كلاً من عملية تشييد النص للمعنى المحتمل، وتحقيق هذا المعنى المحتمل من خلال عملية القراءة"[٢].

في ميزان النقد

إن الاطلاع على الاتجاهات النقدية الحديثة لا يعني الانبهار بها والتدثر تحت عباءتها متأثرين فقط دون مراعاة لأجوائها التي نشأت فيها ودون محاولة للكشف عن جذورها في تراثنا العربي، وهل كانت مثار اهتمام النقاد قديماً أم لا؟

يكفي أن يكون هذا الاطلاع من قبيل حوار الحضارات والانفتاح على ثقافات الآخر بتعامل منهجي له أسسه وبنيانه خال من الجمود والتعصب، "إن الانفتاح العربي على المناهج النقدية يعد من أهم الروافد الأساسية في

---

[١] – نظرية التلقي (مقدمة نقدية) ١٣٥، ١٣٦.

[٢] – المرجع السابق ١٣٦.

تجديد الرؤية النقدية، ويساهم إلى حد بعيد في تفعيل وتنمية وتطوير البعد المنهجي لدى نقادنا في التعامل مع مختلف النصوص الأدبية، ويساعد أيضاً على تنمية العلاقات بين الأنا والآخر، بعيدة عن الجمود والركود أو الانبهار والانحياز أو التوجس والريبة إلى رحاب الانفتاح على العالمية التي تعد ملتقى الثقافات والحوارات والحضارات.... وهذا ما اصطلح عليه بالتثاقف أو المثاقفة ACCULTURATION الذي يحمل معه كل أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة، كالتأثير والتأثر والتصدير والاستيراد والحوار والرفض وغير ذلك مما يؤدي إلى ظهور عناصر جديدة"[١].

ولا بد من الأخذ في الاعتبار أن العرب قديماً عرفوا النقد الجمالي، وعرف شعراؤهم التأمل الجمالي لمفردات الطبيعة من حولهم، كذلك عرفوا النقد الجمالي للنص الإبداعي باشتماله على فنون البديع الإيقاعية التي يأتي بها الناظم أو الناثر عفواً دون تصنع، وتذوقهم لهذه الفنون، وتطرقهم لأسرار الجمال فيها دلالة على تفاعلهم مع النص الإبداعي واستجابتهم لمؤثراته.

وهذا مغاير تماماً لما ذهب إليه (روبرت هولب) إذ يرى أنه قد "استلزم الاتجاه الأعم لنظرية التلقي نقل الاهتمام من النص إلى القارىء. وهكذا فإن النص المحدد الذي وقف النقد التقليدي إلى جانبه قد حل محله المتلقي"[٢]،

---

[١] – نظرية التلقي النقدية وإجراءاتها التطبيقية في النقد العربي المعاصر، إعداد الطالب: أسامة عميرات، إشراف أزد: محمد رزمان، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النقد الأدبي المعاصر، الجمهورية الجزائرية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية: ١٤٣١-١٤٣٢هـ، ٢٠١٠-٢٠١١م.

[٢] – نظرية التلقي (مقدمة نقدية) ٢٢٦.

فهو يقر بأن التجديد في النقد الأدبي عندهم يتبين في العناية بدور المتلقي بدلاً من النص! بخلاف ما ذهب إليه النقاد العرب قديماً.

كما "حذر أصحاب جمالية التلقي (إيزر) من أن تكون القراءة عملية كشف عن المعنى، وإنما هي عملية جعل الفهم بنية من بنيات العمل الأدبي نفسه، أي أن الفهم هو عملية بناء المعنى، وليس الكشف عنه"[١].

يقولون هذا في الوقت الذي سبقهم فيه إمام البلاغيين **عبد القاهر الجرجاني** بالحديث عن (معنى المعنى) أي الكشف عن الدلالة الناتجة عن المعنى الأصلي دون الاكتفاء بالمعنى الأول المفهوم من دلالة اللفظ، يقول عبد القاهر الجرجاني: "فهاهنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى. تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك"[٢]، وهذا المعنى الآخر من البداهة أن تتفاوت العقول فيما تستنبطه ولا تتحد، وقد يهب الله لعقل شخص ما ما لا يهبه لغيره من فوائد واستنباطات، ومن هنا تتجلى أهمية (التلقي)، فهذا يكتب من صميم قلبه وفكره ما يمكنه أن يجذب العقول، وذاك يخط بحبر باهت لا أثر له ولا جدوى منه، والبلاغة العربية تبحث دوماً عن الأثر الذي يُترك في نفس المتلقي.

---

[١] – الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ناظم عودة خضر، ١٢٣، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٩٧٧م.

[٢] – دلائل الإعجاز ٢٦٣.

فالمتلقي قارئاً أو سامعاً كان حاضراً بقوة في ذهن علمائنا الأُوَل، فالمبدع لديه رسالة يلقيها على مسامع المتلقي أو يدونها له في كتاب لكن نظرية التلقي التي ظهرت على يد الناقدين: هانس روبرت ياوس (Hans Robert Jauss) وفولفجانج إيزر (Wolfgang Iser) كانت تسعى إلى استكمال العملية الإبداعية بالتوعية والتنبيه إلى مكانة المتلقي (القاريء) واستجابته للنص.

من وصايا وتوجيهات إمام البلاغيين للمتلقي

المتأمل في كلام إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني يجد أنه قد وضع للمتلقي نصائح وتوجيهات، تعد بمثابة وصايا تمنحه الذوق الرفيع وتمكنه من الاستنتاج القويم، وتجعله ناقداً بارعاً، منها ما يلي:

١-الصبر حتى بلوغ القمة من أجل خدمة الأمة:

بمعنى: الصبر على تأمل النصوص، إن الإمام عبد القاهر الجرجاني يحدد للقاريء هدفاً سامياً إذ يريده أن يبلغ بفكره القمة من أجل رقي الأمة، لذا فهو يحث على الصبر والمواظبة والهمة الأبية التي لا ترضى إلا بالوصول إلى الغاية المنشودة من هذا الغرض الكريم (الكشف عن الفصاحة)، يقول: "إذا نظرت إلى الفصاحة هذا النظر، وطلبتها هذا الطلب، احتجت إلى صبر على التأمل، ومواظبة على التدبر، وإلى همة تأبى لك أن تقنع إلا بالتمام، وأن تربع إلا بعد بلوغ الغاية، ومتى جشمت ذلك، وأبيت إلا

أن تكون هنالك، فقد أممت إلى غرض كريم، وتعرضت لأمر جسيم، وآثرت التي هي أتم لدينك وفضلك، وأنبل عند ذوي العقول الراجحة لك...." (١).

٢-تذوق النص عن فهم وإدراك:

والمقصود فهم وإدراك لعلة استحسانه أو رفضه، فقد حث الإمام عبد القاهر الجرجاني على ضرورة التذوق عن علم وإداراك، فلا يصح أن يستحسن المتلقي كلاماً دون دليل مقنع، يقول: "وجملة ما أردت أن أبينه لك: أنه لا بد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل، وعلى ما ادعيناه من ذلك دليل، وهو من باب العلم إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة ومعان شريفة، ورأيت له أثراً في الدين عظيماً وفائدة جسيمة"(٢).

٣-تيقظ الهمة، والحرص على التجديد:

يقول: وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره.... وما كان بهذا المحل من الشرف، وفي هذه المنزلة من الفضل، وموضوعاً هذا الموضع من المزية..... كان حرىً بأن توقظ له الهمم، وتوكل به النفوس وتحرك له الأفكار، وتستخدم له الخواطر، وكان العاقل جديراً أن لا يرضى من نفسه بأن يجد فيه سبيلاً إلى مزية علم، وفضل استبانة، وتخليص حجة، وتحرير دليل، ثم يعرض عن ذلك صفحاً،

(١) – دلائل الإعجاز ٣٧.

(٢) – المصدر السابق ٤١، ٤٢.

ويطوي دونه كشحاً، وأن يربأ بنفسه، وتدخل عليه الأنفة من أن يكون في سبيل المقلد الذي لا يبت حكماً ولا يقتل الشيء علماً...."[١].

٤-اجتهاد القارىء:

بمعنى التأني في القراءة وعدم التكاسل والمثابرة، والجد، ومواصلة السير في طريق العلم، واحترام القدر الذي يستوعبه العقل مهما قل، فالقليل سبيل موصل لمعرفة الكثير، يقول الإمام عبد القاهر: "واعلم أن ليس إذا لم تمكن معرفة الكل، وجب النظر في الكل، وأن تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وإن قل، فتجعله شاهداً فيما لم تعرف، أحرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك، وتأخذها عن الفهم والتفهم، وتعودها الكسل والهوينا...." [٢].

يدعو الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى بذل الجهد وعدم اليأس حتى يكتسب القارىء الخبرة، يقول الجرجاني: "المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه، واجتهاد في نيله"[٣].

إن المعلم والإمام عبد القاهر الجرجاني بهذه الكلمات التي تعد بمثابة وصايا لكل باحث وبلاغي حريص على رفعة هذه الأمة، قد أرسى قواعداً للباحث كي يُجَوِّد أداءه ويُحسن من طريقة تذوقه للنصوص، وتفاعله معها.

---

[١] – دلائل الإعجاز ٨٠ ، ٨١.

[٢] – دلائل الإعجاز ٢٩٢.

[٣] – أسرار البلاغة ١٤٥.

المبحث الثاني:

التلقي البلاغي للبيان النبوي

إن الهدف الأسمى للبلاغة العربية هو الكشف عن إعجاز القرآن ولا شك أن البلاغة النبوية تمتاز بخصائص ليست في بلاغة العرب، فكلامه (صلى الله عليه وسلم) وحي إلهي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[النجم: ٣] ، كما أن تطبيق (التلقي) على البيان النبوي دلالة على إعجازه، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

وأعني بهذه المناهج جهود البلاغيين قديماً وحديثاً في دراسة البلاغة النبوية، فلقد ظهرت عناية العلماء والمفكرين قديماً وحديثاً بكلام النبي (صلى الله عليه وسلم)، فاستشهدوا في أحاديثهم وكتبهم بشواهد من الحديث النبوي الشريف، فمنهم من استشهد به لأجل توضيح القاعدة كالنحويين، ومنهم من تناوله بالشرح والتفسير، ومنهم من استحسنه لفظاً ومعنى وميزه عن غيره من كلام العرب بعقد مقارنة بين كلام النبي (لفظه ومعناه) وبين ما ورد عن العرب في نفس المعنى، إلا أن قليلا منهم من تناوله من الوجهة البلاغية، وفيما يلي نبذة عن أقوال العلماء في القيمة البلاغية للحديث الشريف ومناهج بعضهم كما وصلت إلينا.

وسأنتخب في سبيل ذلك عدة قراءات ومناهج؛ إما لما تتضمنه من إشارات بلاغية دون التركيز على البلاغة وفنونها أو تلك التي سعت في مجملها إلى الكشف عن أبرز الخصائص الأسلوبية للبيان النبوي، كمنهج الشريف الرضي في كتابه (المجازات النبوية)، ومنهج الأديب مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، وقراءة العقاد في كتابه عبقرية محمد، وقراءة د. محمد عبد الله دراز في كتابه (المختار من

كنوز السنة النبوية)، ومنهج د. كمال عز الدين في كتابه (الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية)، ومنهج د. صبّاح عبيد دراز في كتابه (السمات البلاغية في بيان النبوة).

ومن الملاحظ في الساحة النقدية البلاغية أن كثيراً من الدراسات التي تناولت بلاغة الحديث الشريف قام أصحابها بتحليل بعض الأحاديث التي تندرج تحت فن ما أو ظاهرة ما دون إجمال الخصائص البلاغية المستنبطة من هذا التحليل، فعلى الساحة البلاغية والنقدية عدد قليل من الدراسات التي اتسمت بالشمولية نوعاً ما في تحليل الحديث النبوي، أذكر منها على سبيل المثال: دراسة للدكتور كمال عز الدين بعنوان: (الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية)، ودراسة بعنوان (السمات البلاغية في بيان النبوة) للدكتور صبّاح عبيد دراز.

وفيما يلي أتناول بإيجاز أقوال ومناهج لعلماء ونقاد وبلاغيين ومفكرين قد أشاروا إلى ما في كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) من بلاغة، أو تناولوا أحاديثه الشريفة بالشرح والتحليل البلاغي:

أولاً: نماذج من تلقي البيان النبوي قديماً:

١- الجاحظ (ت ٢٥٥هـ):

عنى الجاحظ عناية كبيرة بالإعجاز وبلاغة العرب، وقد بدا ذلك من خلال ما تركه من إرث كبير تمثل في مصادر أصيلة بث فيها جهوده العظيمة، ككتاب (الحيوان) الذي تناول فيه كثير من فنون البلاغة وقضاياها النقدية وكذلك كتابه (البيان والتبيين) الذي ذكر فيه عدداً من سمات البيان النبوي.

وفي كتابه (البيان والتبيين)، ذكر بعض كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) واصفاً إياه بأنه "مما لم يسبقه إليه عربي، ولا شاركه فيه أعجمي، ولم يدّع لأحد ولا ادّعاه أحد، مما صار مستعملاً ومثلاً سائراً، فمن ذلك قوله: «يا خيل الله اركبي» ، وقوله: «مات حتف أنفه» ، وقوله: «لا تنتطح فيه عنزان» ، وقوله: «الآن حمي الوطيس»"[١].

كما ذكر الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) عدداً من سمات البيان النبوي، يقول عن كلام النبي (صلى الله عليه وسلم): "وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلف، وكان كما قال الله (تبارك وتعالى): قل يا محمد: ﴿وَما أَنا مِن الْمُتَكَلِّفين﴾ [ص: ٨٦]، فكيف وقد عاب التشديق،... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي،.... فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة،.... لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق...، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطيء ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم

---

[١] – البيان والتبيين ١٢/٢.

كثيرا"[1]. فعلى الرغم من أن الجاحظ لم يفرد كتاباً للحديث عن البلاغة النبوية إلا أنه قد أودع كلامه هذا كثير من سمات الأسلوب النبوي.

وفي حديثه أيضاً عن القيمة البلاغية لكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قارن الجاحظ بين تشبيه ذكره النبي (صلى الله عليه وسلم) وتشبيه آخر أورده شاعر عربي، يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "الناس كأسنان المشط"، وقد جاء هذا المعنى نفسه على لسان الشاعر العربي عندما قال:

"سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشيء فضلا

وقال آخر: شبابهم وشيبهم سواء ... فهم في اللوم أسنان الحمار

فتفهم رحمك الله، قلة حروفه، وكثرة معانيه"[2]، فهذه إحدى خصائص البيان النبوي.

٢- الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ):

ألف كتاباً في المجازات النبوية، وجه كلامه في مقدمته لمخاطب ما يبدو أنه – كما يتبين من كلام الشريف الرضي- كان قد أبدى إعجابه بكتاب الشريف الرضي الموسوم بـ (تلخيص البيان عن المجازات القرآن) ويأمل هذا المخاطب أن يتحفه الرضي بكتاب آخر في المجازات الواردة في البيان النبوي، يقول: "فإني عرفت ما شافهتني به من استحسانك الخبيئة التي أطلعتها، والدفينة التي أثرتها من كتابي الموسوم بـ (تلخيص البيان عن

---

[1] – البيان والتبيين ١٣/٢، ١٤.

[2] – المصدر السابق ١٤/٢.

مجازات القرآن) وأني سلكت من ذلك حجة لم تسلك، وطرقت باباً لم يطرق، وما رغبت فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة، ولمع البيان الغريبة، وأسرار اللغة اللطيفة، يعظم النفع باستنباط معادنها، واستخراج كوامنها، واطلاعها من أكمتها وأكنانها.... فيكون هذان الكتابان بإذن الله لمعتين يستضاء بهما وعرينين لم أُسْبَقْ إلى قرع بابهما، فأجبتك إلى ذلك مستخيراً لله سبحانه فيه على كثرة الأشغال القاطعة"[١].

وبهذه الكلمات يلاحظ اهتمامه بالمتلقي وأنه عزم على البدء في كتابه تحقيقاً لرغبة المتلقي الذي كان لديه شوق لقراءة كتاب في المجازات النبوية.

لم يرتب الشريف الرضي مختاراته ترتيباً معيناً بل اكتفى بما تناله يده وما يظهر أمامه عند تصفحه، فإذا تكرر الكلام أمامه أو ما يقوم مقامه اكتفى بذكره مرة واحدة بغرض الاختصار، يقول: "ولكنني أقتصر على ما تناله في هذا الوقت يدي، ويقرب من تصفحي وتأملي، وإذا ورد بمشيئة الله من هذه الآثار ما فيه موضع مجاز قد تقدم الكلام على نظير له أو ما يقوم مقامه، اقتصرت على القول الأول طلباً للاقتصاد، ووقوفاً ضد الإبعاد"[٢].

---

[١] – المجازات النبوية، تأليف الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الحسيني الموسوي (ت ٤٠٦هـ) مقدمة المجازات النبوية ص٩، علق عليه ووضع حواشيه: كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

[٢] – المصدر السابق ١٠.

فكان يذكر نص الحديث الشريف أو جزء منه ثم يعلق عليه بإيجاز مشيراً إلى ما فيه من فنون البيان مبيناً وجوه المعنى وجمالية التعبير، وقد يستشهد بأبيات الشعراء.

ومن ذلك قوله (عليه الصلاة والسلام)، وقد نظر إلى أُحُدٍ مُنْصَرَفَهُ من غزاة خيبر "هذا جبل يحبنا ونحبه" وهذا القول محمول على المجاز؛ لأن الجبل على الحقيقة لا يصح أن يحب ولا يحب، إذ محبة الإنسان لغيره إنما هي كناية عن إرادة النفع له، أو التعظيم المختص به.... فالمراد إذاً أن أحداً جبل يحبنا أهله، ونحب أهله، وأهله هم أهل المدينة من الأنصار أو سهم وخزرجهم[1].

وقوله (عليه الصلاة والسلام) لأزواجه: "أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً"، والحديث أنهن لما سمعن منه (صلى الله عليه وعلى آله) هذا القول جعلن يتذارعن ينظرن أيهن أطول يداً إلى أن توفيت زينب بنت حجش بن رئاب الأسدي أول من توفى منهن، وكانت كثيرة المعروف فعلمن حينئذ أنه (عليه الصلاة والسلام) إنما أراد بطول اليد كثرة البر وبذل الوفر، وكنايته (عليه الصلاة والسلام) عن هذا المعنى بطول اليد مجاز واتساع"[2].

٣- ابن رشيق (ت ٤٦٣هـ):

ويقول ابن رشيق عن الإعجاز النبوي: "ومن أفضل كلام البشر قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بعض خطبه: (فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات،

---

[1] - المجازات النبوية ١٢.

[2] - المصدر السابق ٤٠.

فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار)، فهذا هو المعجز الذي لا تكلف فيه ولا مطمع في الإتيان بمثله"[١].

كما يقول عن فضل الكلام النبوي: "ومن أشرف المنثور في هذا الباب [يقصد به: باب التقسيم] قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وهل لك يا ابن آدم بن مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت " فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسماً رابعاً لو طلب يوجد"[٢].

٤- الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) في كتابه: (الفائق في غريب الحديث):

قسم الزمخشري فائقه بعدد حروف المعجم مرتبة: كتاب الهمزة، كتاب الباء، كتاب التاء، وهكذا، ثم سار في كل كتاب منهما على هذا الترتيب: الهمزة مع الباء، الهمزة مع التاء، وهكذا.

ويظهر في مقدمته الحس البلاغي؛ لما أبداه من إعجاب ببلاغة العرب، فقد تحدث الزمخشري في مقدمته عن بلاغة العرب وكيف كانوا "يتنافثون من السحر في مناظم قريضهم ورجزهم وقصيدهم ومقطعاتهم وخطبهم ومقاماتهم وما يتصرفون فِيهَا من الْكِنَايَة والتعريض والاستعارة والتمثيل وأصناف البديع وضروب المجاز والافتنان في الإشباع والإيجاز ما لو عثر عليه السحرة في زمن موسى (عليه الصلاة والسلام) واطلع عليه

---

[١] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ٨/٢، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

[٢] – المصدر السابق بتصرف ٢١/٢ بتصرف.

أولئك المشعوذون لقعدوا مقمورين مقهورين ولبقوا مبهوتين مبهورين ولاستكانوا وأذعنوا وأسهبوا فِي الاستعجاب وأمعنوا ولعلموا أَن نفثات العرب بألسنتها أحق بالتسمية السحر"[1]، ثم قال عن بلاغة النبي (صلى الله عليه وسلم): "إِن هذا البيان العربيّ كأن الله عزت قدرته مخضه وألقى زبدته على لسان محمد (عليه أفضل صلاة وأوفر سلام)"[2].

وهذا الكتاب على الرغم من كونه يهدف إلى شرح غريب الحديث إلا أنه لم يفته أن يشير إلى ما في الأحاديث التي يتناولها من بلاغة، كالتشبيه والاستعارة والكناية مما يدل على مدى عنايته بالبيان النبوي وحرصه على إظهار بلاغته التي فاقت بلاغة العرب.

٥- ضياء الدين ابن الأثير(ت٦٣٧هـ):

عقد ابن الأثير في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) فصلاً خامساً، قام فيه بدراسة جوامع الكلم، استفتح هذا الفصل بقوله: "قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "أوتيت جوامع الكلم" فالكلم: جمع كلمة، والجوامع: جمع جامعة، والجامعة: اسم فاعلة من جمعت فهي جامعة، كما يقال في المذكر: "جمع" فهو "جامع". والمراد بذلك أنه –صلى الله عليه وسلم– أوتي الكلم الجوامع للمعاني"[3].

---

[1] – الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١/١، دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية.

[2] – المصدر السابق ١١/١.

[3] – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٧٨/١.

وذكر فيه: "أما ما يأتي على حكم المجاز فقوله (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين: "الآن حمي الوطيس"، وهذا لم يسمع من أحد قبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولو أتينا بمجاز غير ذلك في معناه فقلنا: (استعرت الحرب) لما كان مؤدياً من المعنى ما يؤديه (حمى الوطيس) والفرق بينهما أن الوطيس هو التّنور، وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك يخيل إلى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في حميها وتوقّدها، وهذا لا يوجد في قولنا: (استعرت الحرب) أو ما جرى مجراه"[١].

"وكذلك قال (صلّى الله عليه وسلّم): «بعثت في نفس السّاعة» فقوله: «نفس الساعة» من العبارة العجيبة التي لا يقوم غيرها مقامها؛ لأن المراد بذلك أنه بعث والساعة قريبة منه، لكن قربها منه لا يدل على ما دل عليه النّفس، وذاك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما يحس الإنسان بنفس من هو إلى جانبه، وقد قال (صلّى الله عليه وسلّم) في موضع آخر: «بعثت أنا والسّاعة كهاتين» وجمع بين إصبعيه السّبّابة والوسطى، ولو قال بعثت على قرب من الساعة أو والساعة قريبة مني لما دلّ ذلك على ما دلّ عليه نفس الساعة، وهذا لا يحتاج إلى الإطالة في بيانه؛ لأنه بيّن واضح"[٢].

واستشهد ابن الأثير بكلام النبي (صلى الله عليه وسلم) في مواضع كثيرة، ومن ذلك أيضاً استشهاده في السجع بقول النبي (صلى الله عليه وسلم) "ارجعن مأزوراتٍ غير مأجورات"، وإنما أراد "موزورات" من الوزر،

---

[١] – المثل السائر ٧٨/١، ٧٩.

[٢] – المصدر السابق ٧٩/١.

فقال: "مأزورات" لمكان "مأجورات"، طلبًا للتوازن والسجع، وهذا مما يدلك على فضيلة السجع"[١].

٦- الإمام العيني (ت٨٥٥ هـ)

للإمام بدر الدين العيني كتاب أسماه: (عمدة القاري شرح صحيح البخاري)، وهو من شروح الأحاديث التي عنى أصحابها بالبيان النبوي، أما عن منهجه فقد عنى بالتحليل البلاغي إلا أنه أسهب في تفصيل الفنون البلاغية التي يتناولها بشرحه للقاعدة ذاتها دون الاكتفاء باستنباط الفن البلاغي، مثال ذلك قوله: "(بيان البيان) في قوله: (إلى دنيا يصيبها) تشبيه وهو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى أو في وصف من أوصاف أحدهما في نفسه كالشجاعة في الأسد والنور في الشمس وأركانه أربعة المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجهه"[٢].

ثانياً: نماذج من تلقي البيان النبوي حديثاً:

١- كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي:

استفاد الرافعي من مناهج وآراء السابقين في الحديث عن خصائص الأسلوب النبوي ، وأفاد قراءه بأسلوبه وأفكاره وطريقة عرضه ومناقشاته حتى جاء كتابه أصلاً في بابه لكل من جاؤوا بعده، ويلاحَظ أن منهج الرافعي يغلب عليه الطابع الأدبي.

---

[١] – المثل السائر ٢١١/١.

[٢] – عمدة القاريء شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ)، ٢٦/١، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

تناول الرافعي في القسم الأول من كتابه: إعجاز القرآن، وفي القسم الثاني: البلاغة النبوية، كما أودع الرافعي في كتابه أسرار فصاحته (صلى الله عليه وسلم) متحدثاً عن صفته، وإحكام منطقه، واجتماع كلامه، وقلته، ونفي الشعر عنه، وتأثيره في اللغة، ونسق البلاغة النبوية، ودعائم البلاغة النبوية.

يقول الرافعي كان (صلى الله عليه وسلم) لديه "قوة في فطرته اللغوية تتميز بالإلهام عن سائر العرب من قومه وغير قومه، وعلى النحو الذي اختصت به ذاته الشريفة بالوحي من ربه"[١].

ويقول في فصاحته (صلى الله عليه وسلم) لفظاً ومعنى: "بيد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه"[٢]، ففصاحته ليست إلا "توفيقاً من الله وتوقيفاً"[٣].

وقد أرجع الرافعي فصاحة النبي إلى النشأة ومخالطة العرب أهل الفصاحة والبيان، يقول: "ولا يذهبن عنك أن للنشأة اللغوية في هذا الأمر ما

---

[١] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، ٢٦٧، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

[٢] – المرجع السابق ٢٣٤.

[٣] – المرجع السابق ٢٣٥.

بعدها، وأن أكبر الشأن في اكتساب المنطق واللغة، للطبيعة والمخالطة والمحاكاة، ثم ما يكون من سمو الفطرة وقوتها"[١].

ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم: ٣]، يقول الرافعي: "ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي إلهام النبوة، ونتاج الحكمة وغاية العقل"[٢]، لذا فإنه (صلى الله عليه وسلم) في بلاغته "ليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد"[٣].

وفي انبهار شديد بشخصية النبي(صلى الله عليه وسلم) وإحقاقاً للحق، يقول الرافعي: "وليس في العرب قاطبة من جمع الله فيه هذه الصفات، وأعطاه الخالص منها، وخصه بجملتها، وأسلس له مأخذها، ونصبه لبيانه، وخصه بكتابه، واصطفاه لرسالته، وماذا عسى أن يكون وراء ذلك في الإلهام، وحِمام الطبيعة وصفاء الحاسة، وثقوب الذهن، واجتماع النفس، وقوة الفطرة، ووثاقة الأمر، كله بعضه إلى بعض"[٤].

أسلوبه (صلى الله عليه وسلم):

وعن روعة الأسلوب، يقول: "ولا تستزله الفجاءة وما بيده من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع، وعن النمط الغريب والطريقة المحكمة"[٥].

---

[١] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٣٧.

[٢] – المرجع السابق ٢٣٥.

[٣] – المرجع السابق ٢٣٥.

[٤] – المرجع السابق ٢٣٧.

[٥] – المرجع السابق ٢٣٤.

اتسم (صلى الله عليه وسلم) بكمال الفصاحة والبلاغة متفرداً عن كافة البلغاء إذ اجتمع له دقة اللفظ وجمال المعنى ووضوحه وسلامة الأسلوب، يقول: "اجتماع الكلام وقلة ألفاظه، مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكليف، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه، وأن يكون ذلك عادة وخلقاً يجري عليه الكلام في معنى معنى وفي باب باب شيء لم يعرف في هذه اللغة لغيره (صلى الله عليه وسلم)" [١].

وعن إبداع الحديث النبوي في دقة اختيار اللفظ، يقول الرافعي: "ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائق محكمة الفصول، محذوفة الفضول"[٢].

"ومنه ألفاظ كان العرب أنفسهم يسألون عنها ويعجبون لانفراده بها، وهم عرب مثله، كما عجبوا لفصاحته التي اختص بها، ولم يخرج من بين أظهرهم كما روي من أنه (صلى الله عليه وسلم) قال لأبي تميمة الهُجَيْمي (إياك والمخيلة)، فقال: يا رسول الله نحن قوم عرب، فما المخيلة؟ فقال (صلى الله عليه وسلم): سبل الإزار، ومرت الكلمة على هذا الوضع يراد بها الكبر ونحوه"[٣].

"فلقد صاغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جملاً واقتضب ألفاظاً كثيرة لم تُسمع من العرب قبله ولم توجد في متقدَّم كلامها، وهي بعدُ من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها وقوة دلالتها وغرابة

---

[١] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٤٩.

[٢] – المرجع السابق ١٩.

[٣] – المرجع السابق ٢٦٣.

القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلاً وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي"[١].

وفي التلقي البلاغي عقد الرافعي قسما بعنوان: "تأثيره (صلى الله عليه وسلم) في اللغة، تحدث فيه عن التراكيب والمفردات، يقول: "كان النبي (صلى الله عليه وسلم) على حد الكفاية في قدرته على الوضع، والشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية، حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، وهي تعد من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها وقوة دلالتها وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلاً وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي"[٢].

وعقد الرافعي قسماً آخر بعنوان: (نسق البلاغة النبوية) افتتحه ببيان أن "أسلوب كلامه (صلى الله عليه وسلم) منفرد في هذه اللغة"[٣].

وعن بلاغة البيان النبوي، يقول: "إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته في الأولى مُسدد اللفظ مُحكم الوضع جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضربيه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً ولا لفظة

---

[١] – تاريخ آداب العرب للرافعي ٢/ ٣٣٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

[٢] – المرجع السابق ٢٦٢.

[٣] – المرجع السابق ٢٧٠.

مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى وتأتياً لسره في الاستعمال، ورأيته في الثانية حسن المعرض، بين الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود، جيد الرصف، متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهاً، ولا ترى اضطراباً ولا خطلا، ولا استعانة من عجز، ولا توسعاً من ضيق، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه"[١].

"وهذه حقيقة راهنة، دليلها ذلك الكلام نفسه وتفصيله، لا يجهلها إلا جاهل ولا يغفل عنها إلا غافل، فإذا أنت أضفت إليها ما هناك من سمو المعنى، وفصل الخطاب، وحكمة القول، ودنو المأخذ، وإصابة السر، وفصل التصرف في كل طبقة من الكلام، وما التحق بهذه وأمثالها من مذهبه (صلى الله عليه وسلم) في الإفصاح، ومنحاه في التعبير مما خُص به دون الفصحاء، وكان له خاصة، من عظمة النفس، وكمال العقل، وثقوب الذهن، ومن المنزعة الجيدة واللسان المتمكن – رأيت من جملة ذلك نفساً في البلاغة قلما يتهيأ في مثول أغراضه وتساوق معانيه لبليغ، إذ يجمع الخالص من سر اللغة ومن البيان ومن الحكمة– بعضها إلى بعض"[٢].

جمالية الكلام النبوي: "والثمر بعد متفاوت في أشجار البلاغة، نضجاً وماءً وحلاوة وكثرة، وما أثمرت من ذلك بلاغة غريبة ما أثمرته بلاغة

---

[١] – تاريخ آداب العرب للرافعي ٢٧١.

[٢] – المرجع السابق ٢٧١.

السماء في القرآن الكريم ثم بلاغة الأرض في كلامه (صلى الله عليه وسلم)، والناس بعد ذلك أجمعون حيث طاروا أو وقعوا"[١].

وذكر الرافعي من الظواهر الأسلوبية للبيان النبوي ضروباً من الأوضاع التركيبية في الكلام النبوي "وضرب آخر من الأوضاع التركيبية في بلاغة النبي (صلى الله عليه وسلم) غير ما مرت مثله، من ذلك النحو الذي يكون مجتمعاً بنفسه منفرداً في الكلم القليلة، وهذا الضرب يتفق في بعض الكلام المبسوط، فتقوم اللمحة منه في دلالتها بأوسع ما تأتي به الإطالة، وتكفي من مرادفه المعاني وتوكيدها ومقابلتها بعضها ببعض، فيكون السكوت عليها كلاماً طويلاً، والوقوف عندها شأواً بعيداً وهو القليل في كلام البلغاء إلى حد الندرة التي لا يبنى عليها حكم، لكنه كثير رائع في البلاغة النبوية"[٢]، يقصد جوامع الكلم إلا أن أسلوبه الأدبي قد غلب عليه، وهكذا هم الأدباء.

ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم): "من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها، كتبها الله عزوجل عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها، كتبها الله سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك"[٣]، "فتأمل هذا التذييل العجيب، فإنك لا تقضي منه

---

[١] – تاريخ آداب العرب للرافعي ٢٧٣.

[٢] – المرجع السابق ٢٨٠.

[٣] – صحيح مسلم، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت =

عجباً، ولن يعجز إنسان أن يهم بالخير، يفعله أو لا يفعله، وأن ينزع إلى الشر فيمسك عنه، فإن عجز عن هذا فيما فيه آدمية، ورحمة الله تنال الإنسان بأسباب من خيره ومن شره إذا كان فيه الضمير الإنساني"[١].

وكلام النبي (صلى الله عليه وسلم) ليس مثله في كلام الفصحاء، ويفرق الرافعي بين الأسلوب المعجز للقرآن الكريم ونسق البلاغة النبوية وكلام الناس قائلاً: "فاعلم أن نسق البلاغة النبوية إنما هو في أثر الجدّ الإنساني من ذلك الإعجاز، يعلو كلام الناس من جهة وينزل على القرآن من جهته الأخرى، فلا مطمع لأبلغ الناس فيما وراءه، ولا معجزة عليه فيما دونه، وهو عنده أبداً بين القدرة على بعضه والعجز عن بعضه"[٢].

الرافعي وآثار السابقين

لا شك أن الرافعي قد سنحت له الفرصة للاطلاع على آثار السابقين، وفي القسم الثاني من كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) للرافعي، الخاص بالبلاغة النبوية، من الملاحظ أن الرافعي قد استعان مرات عدة بكلام الجاحظ في حديثه عن البلاغة النبوية، ولعل سبب هذا ما ذهب إليه الرافعي نفسه من أن البحث في الإعجاز يرد في أصل نشأته إلى الجاحظ ويتضح ذلك من خلال تعقيبه على كلام الباقلاني، يقول الباقلاني: "وقد

=

وإذا هم بسيئة لم تكتب، ١١٨/١، رقم: (١٣١)، القاهرة،(ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

[١] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢٨١.

[٢] – المرجع السابق ٢٨٥.

صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً، لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى"[١].

ولم يرق للرافعي أن يشير الباقلاني إلى كتاب الجاحظ بإيجاز، فنراه معقباً على كلام الباقلاني قائلاً: "وأومأ إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما، فكأنه هو ابتدأ بالتأليف في الإعجاز بما بسط في كتابه واتسع، وفي ذلك ما يثبت لنا أن عهد هذا التأليف لا يرد في نشأته إلى غير الجاحظ"[٢].

وقد اتفق العلامة محمود شاكر مع الرافعي إذ يرى أيضاً أن الجاحظ ترد إليه نشأة علم الإعجاز، يقول: "إن جميع من ألف في إعجاز القرآن ذكر لأبي عثمان كتاباً رد فيه على رأس المعتزلة (أبي إسحق النظام)....، وقد وصفه الجاحظ في كتابه (حجج النبوة) فقال: (كتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي، وبلغت فيه أقصى ما يمكن مثلي.... فلم أدع فيه مسألة لرافضي ولا لحديثي ولا لحشوي.... ولا لأصحاب النظام ....، وهذا الكتاب هو: (نظم القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان)، والجاحظ أول من ألف كتاباً في شأن إعجاز القرآن فكأن غياب لفظ الإعجاز في كلام أبي عثمان، هو الذي دعاه إلى تسمية نظم القرآن، والكتاب لم يصلنا، ولو وصلنا لكان فيه نظر كثير، ولرأينا فيه لفظ التحدي محفوفاً أيضاً بلفظ العجز"[٣].

وإن كان الرافعي لا يجعل الباقلاني أول مؤسس فإنه يجعله المؤسس الثاني، يقول: "على أن كتابه قد استبد بهذ ا الفرع من التصنيف في

---

[١] – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مقدمة التحقيق، ٦، دار المعارف بمصر، ط٣.

[٢] – تاريخ آداب العرب ١٥٢/٢.

[٣] – مداخل إعجاز القرآن ٢٧، ٢٨، دار المدني بجدة، ط١، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

الإعجاز.... ووفى بكثير ما قصد إليه من أمهات المسائل والأصول التي أوقع الكلام عليها، حتى عدوه الكتاب وحده، لا يشرك معه العلماء كتاباً آخر في خطره ومنزلته، وبُعد غوره وإحكام ترتيبه، وقوة حجته، وبسط عبارته، وتوثيق سرده"[١].

ألاحظ أن كلاً من مصطفى صادق الرافعي ومحمود شاكر قد جعلا الجاحظ المؤسس الأول، وجعل الرافعي (الباقلاني) المؤسس الثاني.

إن الرافعي بعد أن أنصف الباقلاني بهذه الكلمات يخبر قارئه مستشعراَ- وجوب ما يقع على عاتقه كأديب مسلم منصف- أن القرآن كتاب كل العصور لم يقتصر على السلف، لذا فإن منهجه الواضح أن يطلع على ما كتبه السابقون ثم يضيف إلى أقوالهم ما يتناسب وروح العصر ثم هو يبدي تفاؤلاً بأن من سيأتون بعده سيتناولون النظم القرآني وسيفتح الله لهم بدلائل إعجاز جديدة عليهم في عصرهم الذي هم فيه.

فالمطلع على فكر الرافعي يدرك أنه ينحت كلماته من صميم قلبه، ويقدم أفكاره في ثوب جديد، يقول مقدراً جهود الباقلاني: "وبالجملة فقد وضع ما لم يمكن أن يوضع أوفى منه في عصره، بيد أن القرآن كتاب كل عصر، وله في كل دهر دليل من الدهر على الإعجاز، ونحن قد قلنا في غير الجهات التي كتب فيها من قبلنا، وسيقول من بعدنا فيما يفتح الله به، إن ذلك على الله يسير"[٢].

---

[١] – تاريخ آداب العرب ٢/ ١٥٣.

[٢] – المرجع السابق ٢/ ١٥٤.

وإذا كان العلماء قد عدوا الجاحظ المؤسس الأول لعلم الإعجاز قديماً فالرافعي بحق يعد مدرسة في العصر الحديث للباحثين في البلاغة النبوية، إذ يمكن القول بشمولية منهجه، وكتابه يعد مرجعاً لكثير ممن جاءوا بعده، فما رأيت كتاباً بعده إلا وقد بحث عن جهود الرافعي في استخلاص سمات البيان النبوي.

٢- عبقرية محمد (صلى الله عليه وسلم)، لعباس محمود العقاد

كتب العقاد (عبقرية محمد) دفاعاً عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بناء على طلب شخص ما لكنه كتبه بعد ثلاثين سنة، وأشار العقاد في كتابه بإيجاز إلى كثير من الأفكار التي تناولها الرافعي باستفاضة، مما يدل على حرص كل منهما على استخراج الظواهر الأسلوبية للبيان النبوي، كلٌّ بأسلوبه، إلا أن العقاد لم يهتم كثيراً بإيراد شواهد من البيان النبوي.

السمة الأساسية لكلام النبي

فبعد أن بين أن كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) "موسوم بسمة واحدة لا اختلاف فيها، وهي سمة الإبلاغ أو البلاغ المبين"[١] "وقد أعانه (عليه السلام) على أسلوب الإبلاغ أن الذين كانوا يستمعون إليه إنما كانوا يستمعون إلى كلام نبي محبوب مطاع. فهو نافذ في نفوسهم بغير حيلة، مستجمع لأسماعهم بغير تسويق"[٢].

(١) – عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، ٦٦، دار العالم العربي، ط٢، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

(٢) – المرجع السابق ٦٨.

فأسلوبه (صلى الله عليه وسلم) "الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة هو أسلوب عصري في جميع العصور"[١]، فـ"لا كلفة ولا غموض ولا إغراب"[٢]،

ومن السمات الأسلوبية التي ذكرها العقاد:

الغريب

رأى العقاد أن قلة الغريب – بل ندرته – في كلام النبي أجدر الأمور بالملاحظة في إقامة المثل والنماذج لأساليب البلاغة العربية[٣].

ولعل القارىء يعتقد أن العقاد قد أخطأ حين يقول: "لم يكن في كلامه كله غريب يجهله السامع أو يحتاج تبيينه إلى مراجعة.... وسر ذلك أنه يريد أن يبلغ أو يريد أن يصل إلى سامعه، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزاً من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب"[٤] لكن الغريب الذي يقصده العقاد هو الكلام المزخرف الذي يتكلف قائله مشقة إخراجه بغية التأثير في المخاطب، يقول: "وهذا هو البلاغ في التعبير: كل كلمة تصل إلى سامعها وكل كلمة مقصودة بمقدار ولا زخرف ولا حيلة ولا مشقة متعمل في ابتغاء التأثير إلا الإبلاغ الذي يليق بالرجولة والكرامة"[٥].

التكرار

ولأن الغرض الأساسي من كلامه (صلى الله عليه وسلم) هو الإبلاغ، "فمن ثم لا عجب أن يخلو كلامه من الحشو والتكرار والزيادة"[٦].

---

[١] – عبقرية محمد ٦٩.

[٢] – المرجع السابق ٦٦.

[٣] – المرجع السابق ٦٦.

[٤] – المرجع السابق ٦٦.

[٥] – المرجع السابق ٦٦.

[٦] – المرجع السابق ٦٦.

وتحدث العقاد عن التكرار مشيراً إلى ما يحدث في معاهدات النبي من تكرار للنص قائلاً: "فهو أيضاً سمة من سمات الإبلاغ على سبيل التوكيد والتحقيق، أو على سبيل الإعادة التي روي أنه كان يتوخاها عليه السلام أحياناً ليعقل كلامه"[١].

السجع

"ومذهبه في هذه الحيلة اللطيفة مذهبه في كل حيلة تليق بالرجل: فحولة في القول، وفحولة في الزينة، فسجعه (عليه السلام) كحلية الذهب التي يليق بالرجل أن يتحلى بها ولا مزيد"[٢].

جوامع الكلم

وهي "اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات وقد يبسطها الشارحون في مجلدات"[٣].

ثم استدل على ذلك: "ومن أمثلة ذلك علم السلوك في الدنيا والدين وقد جمعه كله في أقل من سطرين قصيرين من قوله: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا"[٤].

وجوامع الكلم "أي ملكة أقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى، بنظم لطيف لا تعقيد فيه يعثر الفكر في طلبه، ولا التواء يحار الذهن في فهمه، فما من لفظة يسبق فهمها إلى الذهن إلا ومعناها أسبق إليه.... حتى

---

[١] – عبقرية محمد ٦٧.

[٢] – المرجع السابق ٦٧.

[٣] – المرجع السابق ٧٠.

[٤] – المرجع السابق ٧٠.

صار ما أتكلم به كثير المعاني، قليل الألفاظ، وقوله: (اختصاراً) مصدر مؤكد لما قبله فهو الجامع لما تفرق قبله في الرسل من الكمال، المخصوص بما لم يعطه أحد منهم من المزايا والأفضال، فمما اختص به عليهم: الفصاحة والبلاغة"[١].

٣- منهج د. محمد عبد الله دراز في كتابه المختار من كنوز السنة النبوية[٢]

بدأ كتابه بالمقدمة وسند المؤلف ثم انتقل إلى باب بدء الوحي تحدث فيه عن الوحي وأنواعه، والفرق بينه وبين الإلهام ثم تناول فيه خمسة أحاديث، يليه (كتاب الإيمان والإسلام) وبحوث تمهيدية ثم ثلاثة فصول: الأول: في فضل الإيمان تناول فيه اثنا عشر حديثاً، الفصل الثاني: في حقيقة الإيمان والإسلام، وبه دراسة لأربعة عشر حديثاً.

الفصل الثالث: في مجاز الإيمان والإسلام وبه تسعة أحاديث، ثم الفهارس وجدول التصويبات.

قيمة بحثه:

"ولكنك ستجد إن شاء الله في هذا (المختار) ضرباً من الحديث كان متفرقاً في كتب السنة تفرُّق الذهب في مناجمه ولا أعلم أحداً أفرده بالتأليف قبل اليوم على شدة حاجة الناس إليه وقلة اختلاف الفقهاء فيه"[١].

---

[١] – فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، ١/ ٥٦٣، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

[٢] – المختار من كنوز السنة النبوية شرح أربعين حديثاً في أصول الدين، تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز (رحمه الله تعالى) عنى بنشره: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر.

منهجه:

"أول ما عنيت به عند الدرس استخراج كل حديث نُسب إلى الكتب الستة أو بعضها من موضعه الذي ورد فيه منها، ثم تتبع الزيادات المفيدة التي توجد في بعض رواياته ثم الرجوع إلى ما تيسر من أقوال الشراح وأهل اللغة فيه، وبيان معناه على وفق ذلك مع ما يفتح الله به من زيادة أو تنقيح وخصوصاً فيما يتصل بالمعلومات الدينية العامة التي تعني طالب أصول الدين"[٢].

ويلاحظ عنايته بترجمة الأحاديث عناية فائقة وربما وضعها في الصلب مرة، ومرة أخرى في الحاشية[٣]، وقد نال كتابه كثيراً من الشهرة والقبول، إلا أنه غير متخصص في البلاغة النبوية بيد أن به بعض اللفتات البلاغية التي تنم عن دراية بخصائص البيان النبوي.

وإن كان قد حدد الأحاديث التي سيتناولها بأنها في أصول الدين – كما يبدو من عنوان كتابه– وليست له كبير عناية بالبلاغة النبوية إلا أن له في كتابه عدداً من الإشارات البلاغية عند تحليله للأحاديث، حيث ذكر بعض سمات البيان النبوي في ثنايا تحليله لبعض الأحاديث في كتابه، من ذلك:

أ- الأسلوب البليغ:

أسلوب النبي (صلى الله عليه وسلم) أسلوب بليغ، "فعادة البلغاء إذا كان للحقيقة فردان وكان أشهرهما الذي ينساق إليه ذهن السامع هو أهونهما وأريد لفتُهُ إلى أقواهما أن يضعوا الكلام على نفي الاسم عن الأول وإثباته

=

(١) – المختار من كنوز السنة النبوية المقدمة (ي هـ) للدكتور محمد عبد الله دراز.

(٢) – المرجع السابق، المقدمة (ي د) كتبها محمد عبد الله دراز .

(٣) – المرجع السابق، حاشية ص ٤٧٧ (*–*) أعاد ذكره في الصلب (٤٨٤).

للثاني حتى قد يُجاء بالنفي والإثبات صريحين. من ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): "ليس الشديد بالصُّرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب"[١].... وهو في اللغة كثير.... [واستدل بقول الشاعر]:

ليْسَ منْ مات فاسْتراحَ بمَيْتٍ إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأحيـــاءِ

جعل الموت الأدبي بالذل والصَّغار هو الموت بالحقيقة؛ لأنه أشد على الحُرِّ من مفارقة الروح للبدن. حتى كأن الموت الحسي إن سُمِّيَ موتاً فعلى وجه المجاز... فعلى هذا المنهج كأنه (صلى الله عليه وسلم) يقول: "ليس المسلم بذلك المسلم المصلي الصائم الذي لا يتورع عن أذى الخق، وإنما المسلم هو من كف عن الناس أذاه وأراحهم من شره" لا عجب إذاً أن يوجه النبي (صلى الله عليه وسلم) عناية الجمهور إلى ناصية المعاملات بهذا الأسلوب البليغ"[٢].

"بل إن في أسلول الحديث ما يشير إلى معنى أدق من هذا كله، فإنه يُلَوِّح بما فيه من الجناس البديع إلى أن هذه الشعبة هي الأصل في تسمية المسلم بهذا الاسم وأن منها اشتُق اسم الإسلام، كأن معنى (أسلم) جعل الناس سالمين من أذاه وليس معناه فقط جعل نفسه سِلْماً لله. وكم في حسن هذا التعليل من إغراء على المسالمة وتحذير من المضارة، إذ يجعل الذي يؤذي الناس وهو يحمل لقب الإسلام كأنه يحمله زوراً وينتحله انتحالاً وهو ليس له بأهل"[٣].

---

[١] – صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، الحديث ٤/ ٢٠١٤، رقم: (٢٦٠٩).

(٢) – المختار من كنوز السنة النبوية ٤٦٨ – ٤٧١ بتصرف.

(٣) – المرجع السابق ٤٧١.

ب- **مراعاة حال المخاطب:**

"سُئل النبي (صلى الله عليه وسلم): أي الإسلام خير؟ فأجاب [فيما روي] عن (عبد الله بن عمرو) بقوله: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"[١] وأجاب في هذه الرواية عنه بقوله: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام"[٢] فقد يلمح أن بين الجوابين اختلافاً، وليس كذلك؛ وإنما الفرق بينهما كالفرق بين الأمر بالشيء والنهي عن ضده، فأحدهما يأمر بطيب الكلام وبذل المعروف والآخر ينهي عن الإيذاء باللسان واليد. هذا يأمر بالإحسان بالقول والفعل، وذاك ينهى عن الإساءة بالقول والفعل"[٣]، "غير أنه في جانب الكف قدّم اللسان على اليد، وفي جانب الفعل عكس فبدأ بإطعام الطعام وثنى بإفشاء السلام رعاية لحال الجمهور في كلا المقامين بتقديم ما هم إلى معرفته أحوج؛ لأنهم عن العمل به أبعد، وهو عليهم أصعب...."[٤].

ج- الأحاديث النبوية مفسرة لكتاب الله عزوجل

في تناوله لحديث[٥] "عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له

---

[١] – صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ٦٥/١، رقم: (٤٠).

[٢] – صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: إفشاء السلام من الإسلام، ١٥/١، رقم: (٢٨).

[٣] – المختار من كنوز السنة النبوية ٤٨٠.

[٤] – المرجع السابق ٤٨٠.

[٥] – المرجع السابق ٤٨٥.

بالإيمان قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، الآية﴾[١]"[٢].

وبعد أن شرع في شرح الحديث الشريف يقول: "وبعد، ففي الاستشهاد بهذه الآية إشكال، ذلك أنها ما سيقت للإخبار بأن الذين يعمرون المسجد بالفعل لا يكونون إلا من أهل الإيمان، وإنما سيقت لبيان ما حقه أن يكون وما حقه ألا يكون، فقد كان المشركون يعمرون المسجد الحرام ويفخرون بذلك، ولكنه لم يكن حقاً لهم.... فكيف تصلح هذه الآية شاهداً على أن كل من يعمر المسجد فهو مؤمن؟"[٣].

وأجاب عن هذا الإشكال "بأن الاستشهاد بالجملة من القرآن الكريم في المعنى لم تنزل فيه ولم تُسَقْ له قصداً أمر سائغ بين العلماء... وجملة القول: إن الآية الواحدة من كتاب الله تُفسَّر بحَسَبِ سياقها وسبب نزولها على معنى، وتؤخذ بِحَسَبٍ عموم لفظها فتفيد وجوهاً أُخَرَ من المعاني. والاستشهاد بهذه الآيات من النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو المفسر الأعظم، تنبيه على هذه القاعدة التفسيرية"[٤]، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ولعل أهم ما يميز د/ محمد عبد الله دراز كونه اهتم بالتحليل البلاغي، وغير أنه أحياناً كان يشرح القاعدة اللغوية، مثال ذلك: "تقول: (جاء فلان)

---

[١] – التوبة : ١٨.

[٢] – سنن الترمذي ٢٧٧/٥، باب: (ومن سورة التوبة)، الحديث رقم (٣٠٩٣).

[٣] – المختار من كنوز السنة النبوية ٤٨٧.

[٤] – المرجع السابق ٤٨٨، ٤٨٩.

إذا كان السامع خالي الذهن من مجيئه وعدمه، فإذا كان متشوقاً لخبر مجيئه، متوقعاً له قلت (قد جاء فلان)"[١]، يقصد تأكيد الجملة بـ (قد).

٤- منهج دكتور كمال عز الدين في كتابه (الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية)

وهذا الكتاب بذل فيه صاحبه د. كمال عز الدين جهداً كبيراً في التحليل البلاغي لكثير من الأحاديث النبوية وهو بحق جهد يستحق الإشادة حيث كان له أسلوبه الخاص في الكشف عن سمات البيان النبوي.

وكان من أولى اهتماماته إلى درجة الطمأنينة على النصوص، يقول: "ولما كانت دراستنا متعلقة بالبيان النبوي ومتخصصة في القيمة الفنية لتعبيره، والخصائص التي انفرد بها عن بيان فصحاء العرب.... كان لا بد من الطمأنينة على النصوص التي هي مناط البحث ومحل الخصائص"[٢]، وهذا الاهتمام بتخريج الأحاديث والكشف عن صحتها غير موجود لدى كل الباحثين، وإن كان هو الأصل وفيه الفضل والمزية.

وفي سبيل تحقيق ذلك طرح في كتابه عدة أسئلة أهمها السؤال الثاني الذي ينص على "هل ما تحمل هذه الكتب موثوق من صدق نسبته لفظاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟" [٣]، يقصد بالكتب أي: الكتب الستة، الجامع الصحيح للبخاري، وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجه، وسنن أبي

---

[١] – المختار من كنوز السنة النبوية ٤٩٣.

[٢] – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د.كمال عز الدين، ٢٧، دار اقرأ، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

[٣] – المرجع السابق ٢٧.

داوود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، مجيباً عن هذا السؤال بقوله: "تحري هؤلاء الأئمة (رضي الله عنهم) طرق الحديث، بتمحيص الرجال الموصلين إلى المتن، واشتراطهم لصحة الحديث وروايته شروطاً تملأ القلب رضا، ولم يضطلع أحدهم بهذه الأمانة إلا وهو أهل لها، مقدر تبعتها"[١].

مقدمة الكتاب:

بدأ كتابه بمقدمات رأى أنها لا بد منها، حيث عرف السنة لغة واصطلاحا، وفرق بين السنة والكتاب، وذ كر مدى الحاجة إلى السنة، وكونها بيان للقرآن ومصادر تلقي السنة، مقسماً كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى حديث قدسي وحديث نبوي، "وقد سمي الحديث المسند إلى الله الحديث القدسي، وسمي الأخير الحديث النبوي، أما مصدر النوع الأول فواضح من هذه النسبة، وأما مصدر النوع الثاني فهو إما الوحي الخالص من الله وإما الاجتهاد من الرسول عليه السلام"[٢].

منهج الكتاب:

بعد أن ذكر د.كمال عز الدين عناية العلماء قديماً ببلاغة الحديث، وتحدث عن مناهج بعض هؤلاء العلماء، حدد منهج كتابه، وهو: "استنباط الظواهر العامة للبلاغة النبوية والخصائص الأسلوبية للبيان الكريم، نسوقها فصولاً قصاراً بطريقة التعريف والتقرير بالمثال أو الشاهد، ثم التطبيق العام على طائفة مختارة من الأحاديث، نأخذ منها لوامع البيان وأسرار التعبير، ،

---

[١] – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ٢٨.

[٢] – المرجع السابق ٢٠.

لنطعم هذه البلاغة متذوقين، بعد أن شاقنا إليها ما سبق من الوصف، وما نحس على الإجمال من الروعة عند سماع الحديث أو قراءته"[١].

كما رأى أن الرسول كمعلم للأمة فإن طريقته في تمكين الرسالة طريقة تقريرية، وحدد المظاهر العامة للتقرير في جانب اللفظ وجانب المعنى والغرض، ورأى عموم تلك المظاهر في البيان النبوي، تلك المظاهر التي حددها في ثلاث نقاط:

"١- صفاء اللفظ ووفاؤه إفرادا وتركيباً.

٢- وضوح المعنى وظهور المغزى.

٣-وسائل التشويق والإيقاظ بعثاً للنشاط وإجابة للداعي"[٢].

تتبع الظواهر الأسلوبية للبيان النبوي وذكر عدة أساليب شكلت خصائص عامة للبيان النبوي، ومن بين ما ذكره كإحدى الظواهر الأسلوبية العامة: التأكيد المعنوي (التأكيد بالتشبيه والتمثيل)، "والبيان النبوي يضرب بسهم وافر في هذا الميدان"[٣]، ومن الشواهد التي وردت في كتابه من قبيل تشبيه الحسي بالحسي: "عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمنكبي، وقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"[٤]، "والرسول (صلى الله عليه وسلم) يطلب من صاحبه عبد الله أن

---

[١] – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ٢٨.

[٢] – المرجع السابق ٦٥، ٦٦.

[٣] – المرجع السابق ١٤٣.

[٤] – صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، ٨٩/٨، رقم (٦٤١٦).

يكون في الدنيا شبيهاً بالغريب أو عابر السبيل في عدم التعلق بما يثقله من متاعها الخادع الذي يعوق همته.... ولذا كانت البلاغة النبوية تقتضي في التشبيه وضع (كأن) لحمل حال بحاجة إلى أن تتقرر على أخرى مقررة معلومة، وهذه الصورة التشبيهية تترك خيال ابن عمر وخيالنا يصور لنا أوصاف الغريب وعابر السبيل.... كما توحي إلينا في سعة أن خلوداً في دار ثانية... يعقب غربتنا"[١].

ومن الظواهر البلاغية العامة للبيان النبوي والتي وردت في الكتاب أيضاً: التأكيد بالقصر، وذكر عدة أمثلة، منها: "عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق لهم في الآخرة"[٢] معلقاً على هذا الحديث النبوي بقوله: "إنه معنى يستحق أن يؤكد بالقصر فيخصص فيه لبس الحرير بمن لا نصيب له من خير الآخرة، حتى ينظر من له طمع فيه مصيره فينأى بجانبه"[٣].

ومن بين الخصائص العامة للبيان النبوي كذلك، ما أسماه (تصعيد المعاني)، "وهو طرد الكلام حثيثاً في مقدمات يُسْلِمُ بعضها إلى بعض كافية المنطق، توصل في سرعة وسلامة إلى النتيجة، بحيث لا يشعر المخاطب

---

[١] – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ١٤٤، ١٤٥.

[٢] – صحيح البخاري، كتاب: اللباس، باب: لبس الحرير وافتراشه للرجال، وقدر ما يجوز منه، ١٥٠/٧، رقم: (٥٨٣٥)، صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، ١٦٣٩/٣، رقم: (٢٠٦٨).

[٣] – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ١٣٣.

من سرعة التتابع والانقياد للمسلمات بجهد دون غايته"[١]، واستدل بعدة شواهد منها على سبيل المثال: "عن علي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من أحيا سنة من سنتي أميتت فقد أحبني، ومن أحبني كان معي"[٢].

"إنه انتقال من مرحلة مسلمة إلى مرحلة أخرى مسلمة، لا يكون بعدهما إلا التسليم والإذعان..... إن هذا المنطق التصعيدي للمعاني يستحق اسماً بلاغياً يرجع إلى النسج الغني لا إلى الطاقة الدافقة هو (ترديد الحبك) إلا أن ترديد الحبك يخصه علماء البديع بالشعر دون النثر"[٣].

تحدث عن المثل النبوي، كذلك خصص القصص النبوي بالحديث مبيناً أن "القصة من الأنواع الأدبية التي يمكن للقاص بها أن يقرر المباديء ويمكِّن الأهداف؛ لأن لها أثراً في النفوس يواكب فطرتها في مدارج الحياة"[٤]، وهذا النوع الأدبي "يعمق به النبي (عليه السلام) طائفة من المفاهيم والقيم التي تعد من المسائل الكبرى في النماذج الكلية من حياة الإنسان"[٥].

أما عن منهج الكتاب في التأمل البلاغي للقصة، فقد كان يذكر القصة ثم يعلق عليها بذكر أهدافها وأبطالها وأهم معالمها وطريقة الحوار فيها، من ذلك قوله معلقاً على الأسلوب النبوي في قصة أصحاب الأخدود: "وأسلوب

---

[١] – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ٢٥٣.

[٢] – سنن الترمذي، ٤٦/٥، رقم: (٢٦٧٨).

[٣] – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ٢٥٤.

[٤] – المرجع السابق ٤٥٩.

[٥] – المرجع السابق ٤٥٩.

القصة واضح قوي دقيق الفصل والوصل بشكل محس، تتخلله عبارات الإنشاء المصورة للعواطف والانفعالات المختلفة عند اللزوم يتدرج من الأسباب إلى النتائج، ويساعد على انتقال المشاهد دون نبوة أو فجوة، ويستعمل الدليل وقت الحاجة إلى الدليل، والحوار عند الحاجة إلى الحوار "[١].

وبالفعل فقد كانت تأملاته هذه في البيان النبوي تأملات مشوقة وجاذبة، استطاع من خلالها أن يضع لبنة قوية في الكشف عن الخصاص البلاغية للبيان النبوي، حرص على توثيق الأحاديث، كان يوثقها من كتاب (تيسير الوصول)[٢]، لم يكن يكتفي بإيراد الحديث واستخراج موضع الشاهد بل كان يعلق على الحديث تعليقاً مطولاً بطريقة استنباطية لا تعليمية بحتى، وتلك طريقة تجذب القاريء وتجعله متصلاً بروح الكاتب من خلال كلماته.

إن كتاب (الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية) يعد كتاباً له قيمته في الكشف عن الظواهر الأسلوبية العامة للبيان النبوي، وقد أشاد به عدد من الباحثين، أشاد بمنهجه أ/جليل رشيد فالح يقول: "أما الكتاب الذي وقفت عليه مفيداً في هذا الباب فهو كتاب: (الحديث النبوي [الشريف] من الوجهة البلاغية) للدكتور [كمال عز الدين]، إذ جنح فيه إلى تحليل أحاديث شريفة لبيان مواضع الدقة والفطرة في صوغ الأفكار وجلاء

---

[١] – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ٤٦٦.

[٢] – تيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول (المختصر)، كمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ «ابن إمام الكاملية» (ت ٨٧٤ هـ).

المعاني"[١]. كما ذكره د. صبّاح عبيد دراز، وكان كلامه ما بين استحسان ونقد بناء، فقد ذكر أنه أفاد من هذا الكتاب إلا أنها إفادة محدودة، يقول: "ولقد أفدت من هذا الكتاب، وإن كانت إفادة محدودة؛ ذلك أن المؤلف أخضع البيان النبوي لما أسماه الطريقة التقريرية وجعلها لفظية ومعنوية، وتناول أمشاجاً غير منتظمة من المعاني والبيان والبديع، دون التزام بالتراث البلاغي، أو استيفاء لمعالم البلاغة"[٢].

٥- كتاب السمات البلاغية في بيان النبوة، للدكتور صبَّاح عبيد دراز

الغاية من الكتاب:

"غير أني – نفسياً وعقلياً– وجدت أن خير منهج يحقق هذه الغاية هو دراسة البيان الكريم من واقع نصوصه دراسة بلاغية موضوعية تظهر الجمال في النظم والصياغة وفي تركيب الصورة البيانية، وتجلي الخصائص والسمات التي تَفَرَّدَ بها البيان النبوي دون سواه من الأساليب"[٣]. هذه الغاية هي: الكشف عن الجمال الفني في بلاغة النبوة.

---

[١] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية، جليل رشيد فالح (مدرس)، ٤١٢ بتصرف، وقد كتب اسم مؤلف الكتاب: "عز الدين علي السيد" وليس ما سجلته في الصلب، آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، العدد ١٣، الصفحات من (٤٢٤– ٤٠٨)، سنة ١٩٨١م.

[٢] – السمات البلاغية في بيان النبوة، الدكتور صبّاح عبيد دراز، ٥، مكتبة وهبه، القاهرة، ٢٠١٤م.

[٣] – المرجع السابق ٣.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة وخمسة أبواب متتالية وخاتمة، جاء الباب الأول حول نشأة النبي وسنته، وتحدث في الباب الأول عن جهود العلماء والمفكرين وآثارهم في البيان النبوي تحت عنوان (البحث البلاغي في بيان النبوة)، ثم توالت الأبواب الثلاثة والأخيرة والتي جاء محتواها في الكشف عن الخصائص البيانية والجمالية للبيان النبوي الشريف، أما الباب الثالث فاختص بالكشف عن بعض أسرار المعاني في الحديث النبوي من إيجاز وتقديم وقصر وفصل ووصل،

وجاء الباب الرابع بعنوان (من أسرار البيان في البلاغة النبوية)، تلاه الباب الخامس متناولاً فيه البديع في البيان النبوي.

منهجه:

يذكر الفن البلاغي ثم يورد عدداً من الأحاديث ليستجلي فيها الخصائص الأسلوبية الخاصة بالبيان النبوي.

أمثلة من الكتاب:

أولاً: الإيجاز بالقصر (جوامع الكلم)، ذكر عدة أحاديث من بينها قوله (صلى الله عليه وسلم): "الضعيف أمير الركب" وحلله تحليلاً بلاغياً مبيناً أن سر جمال التعبير بالإيجاز هنا هو: "أنه منح الضعيف صفة الإمارة، وجعل الركب اتباعاً ينقادون لأمره، ويصدرون عن إشارته"[١]. كما ذكر فائدة التشبيه معرفاً إياه بأنه "محذوف الأداة" يقصد التشبيه البليغ، ورأى أن

[١] – السمات البلاغية في بيان النبوة ١٧٣.

هذا التشبيه في خدمة الإيجاز بما أدى من مبالغة في إلحاق الضعيف أو تصويره بالأمير، محذوف الأداة، ولو جاء مرسلاً لانتقص الأسلوب من أساسه، ولما وفى بالغرض وهو بر الضعيف، ورحمته"[١].

وبعد أن تناول بالشرح والتحليل البلاغي تلك الطائفة من الأحاديث التي ذكرها، استمد منها الظواهر الفنية للبيان النبوي الشريف قائلاً: "من هذا العرض السريع يتضح لنا أن الإيجاز بالقصر قد اتسم فيها بالدقة وقوة التصوير والطبع الخالص"[٢].

وفي حديثه عن الاستعارة النبوية، رأى أن "كل لفظة معارة في البلاغة النبوية إنما وضعت بدقة محسوبة وفق خطة تصويرية لا يشذ عنها شارد ولا وارد، خطة الطبع النافذ البصير فلا يحل لفظة مكان أخرى"[٣]، ومن الشواهد التي ذكرها في الاستعارة "قال (صلى الله عليه وسلم لأنجشة: رويدك رفقاً بالقوارير"، "فيه استعارة تصريحية عن النساء بالقوارير تفنناً وإبداعاً، ودعوة إلى الرفق والرحمة"[٤].

آثار السابقين:

يلاحظ قاريء هذا الكتاب أن مؤلفه لم يكن يترك موضعاً في كثير من الأحيان رأى فيه تناول السابقين له إلا أشار إليه وأفاد منه، وفي هذا إثراء للقاريء، من ذلك تعقيبه على الحديث الشريف: "لن ينجو أحد منكم بعمله،

---

[١] – السمات البلاغية في بيان النبوة ١٧٣.

[٢] – المرجع السابق ١٧٥.

[٣] – المرجع السابق٣٦٥.

[٤] – المرجع السابق ٣٥٠.

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل" بقوله: "فالرحمة هنا يساندها الفضل، وهي رحمة لا تقتصر على التغطية وإنما تترقى إلى التغمد بما فيه من إحاطة تامة.... لذا كانت قوة الصورة بقوة التجسيد دلالة على شدة الحاجة وضعف الحيلة، وقوة الرحمة، وبيان المنزلة المحمدية تأكيداً للغرض العام، وهو أن الفضل بيد الله"[١] ثم تلا ذلك بقوله: "وقد اقتصر الرضي على بيان الاستعارة دون إيماء إلى ما ذكرنا، قال: "وأصل هذا الكلام مستعار؛ لأن المراد به إلا أن يغطيني أو يجللني منه برحمة مأخوذ من غمد السيف الذي يكون كناناً وسباغاً عليه"[٢]، والأمثلة على ذلك كثيرة، إنه يستفيد من آراء السابقين بإعادة نشرها للقاريء وتذكيره بها، وهذا شكل من أشكال الإلمام والإحاطة بجوانب التحليل أن يطلع على آراء السابقين ليضيف جديداً فتكثر الفائدة للمتلقي.

في الأبواب الأربعة الأولى كان يذكر طائفة من الأحاديث ثم يستنبط منها السمات البلاغية، أما المحسنات البديعية فعلى عكس ما جاء قبلها من أبواب، إذ بدأها بتمهيد ذكر فيه مباشرة بعض السمات العامة، يقول: "جاء البديع في البيان النبوي عذباً فطرياً، له دور في التراكيب صياغة ومعنى ملائماً للأغراض معيناً على ما تقتضيه المقامات، غير ملتزم ولا مقصور إليه، وإنما كان صوت النفس ورجع الحس والوجدان"[٣].

---

[١] – السمات البلاغية في بيان النبوة ٣٤٧.

[٢] – المرجع السابق ٣٤٧.

[٣] – المرجع السابق ٤٠٥.

إن كتاب (السمات البلاغية في بيان النبوة) كتاب كتبه صاحبه وكله شوق وحنين وإعجاب وتقدير للبيان النبوي ورغبة حقيقية عن الكشف عن مظاهر الجمال الفني في بلاغة النبوة، ومما يدلل على هذا قوله في حديثه عن ابن أبي الإصبع (ت٦٥٤هـ) ومنهجه في التحليل البلاغي للبيان النبوي: "وقد يذكر حديثاً أو أكثر نبه فيه على اللون دون بيان أثره البلاغي، أو يشفعه بما يدل على تأثره به، وانفعاله نقداً ذاتياً لا يعني في الحكم على النص الأدبي"[١].

ومن ذلك "قوله في باب الفرائد في الحديث: (استذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم من عقلها) فالمح لفظتي استذكروا وتفصياً، لترى ما يذهل عقل السامع فصاحة وروعة جزالة وحلاوة، وكذلك قوله عليه السلام: (إذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر) فإن لفظة (حي، هلا) من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح"[٢]."وعلى هذه الأمثلة فقس ترشد إن شاء الله تعالى"[٣].

---

[١] – السمات البلاغية في بيان النبوة ٩٦.

[٢] – السمات البلاغية في بيان النبوة ٩٧ نقلاً عن تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، ٥٧٦، ٥٧٨، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

[٣] – تحرير التحبير ٥٧٨.

ومعنى أن ينقد د/ صباح عبيد طريقة ابن أبي الإصبع أنه يريد أن يرى نقداً علمياً بلاغياً لا نقداً نابعاً من الأحاسيس والمشاعر ومجرد الاستحسان أو الرفض، فهذا منهج لا يعود بالنفع على المتلقي.

ولعل هذا الكتاب – السمات البلاغية في بيان النبوة– من أفضل الكتب التي اطلعت عليها في استجلاء الخصائص الأسلوبية والظواهر الفنية للبيان النبوي؛ غير أني كنت أود من أستاذنا الدكتور/ صبّاح عبيد دراز (رحمه الله وطيب ثراه) أن لو قام دائماً بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، ومن الكتب الستة الصحيحة، إلا أنه لم يكن يفعل ذلك أحياناً، على سبيل المثال بعض الأمثلة التي ذكرها في الإيجاز بالقصر، حيث ذكر قوله (صلى الله عليه وسلم): "الضعيف أمير الركب" ثم علق عليه في الحاشية بقوله: "إعجاز القرآن للرافعي ص ٣٧٦"[١]، كذلك ذكر قوله (صلى الله عليه وسلم): "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً" معلقاً عليه في الحاشية بقوله: "عبقرية محمد، العقاد ص ٧٩"[٢]، والأمثلة على ذلك كثيرة، لكن هذا المأخذ لا يقلل من شأن الكتاب، ولي في هذا الصدد مقترح ذكرته في نهاية بحثي هذا، والله المستعان والهادي إلى سواء السبيل.

---

[١] – السمات البلاغية في بيان النبوة ١٧٢.

[٢] – المرجع السابق ١٧٢.

المبحث الثالث:

التلقي البلاغي لخطبة الوداع

فيما يلي قراءة في دراسات تحليلية لبلاغة خطبة الوداع، وأبدأ بذكر نص خطبة الوداع.

خطبة حَجة الوداع:

في صحيح البخاري: "حدثني محمد بن المثنى، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أيوب، عن محمد، عن ابن أبي بكرة، عن أبي بكرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر – الذي بين جمادى وشعبان– (أي شهر هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليس ذو الحجة؟) قلنا: بلى، قال: (فأي بلد هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليست البلدة الحرام؟) قلنا: بلى، قال: (فأي يوم هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليس يوم النحر؟) قلنا: بلى، قال: (فإن دماءكم وأموالكم)، – قال محمد: وأحسبه قال – وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم، فسيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا، يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من

سمعه. فكان محمد إذا ذكره يقول: صدق محمد (صلى الله عليه وسلم)، ثم قال: (ألا هل بلغت) مرتين"[١].

وفي صحيح مسلم: "حدثنا شعبة، عن علي بن مدرك، سمع أبا زرعة، يحدث عن جده جرير، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (استنصت الناس) ثم قال: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)"[٢].

ورواية الترمذي في سننه: "حدثنا الحسن بن علي الخلال قال: حدثنا حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن شبيب بن غرقدة، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثنا أبي، أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: (أي يوم أحرم، أي يوم أحرم، أي يوم أحرم؟) قال: فقال الناس: يوم الحج الأكبر يا رسول الله، قال: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخو المسلم، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه، ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع، لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، ألا وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأول دم وضع من دم الجاهلية دم الحارث بن عبد المطلب، كان

---

[١] – صحيح البخاري، باب حجة الوداع، ١٧٧/٥، رقم: (٤٤٠٦).

[٢] – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: (لا ترجعوا بعدي كفاراً...)، ٨١/١، رقم: (٦٥).

مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل، ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا وإن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن"[1].

غلب على الدراسات البلاغية في البيان النبوي الاهتمام بتناول أحاديث مختارة من هنا وهناك من أجل بيان بعض الظواهر الفنية العامة للبيان النبوي أو أحاديث مختارة تندرج تحت موضوع واحد يبحث فيها عن الفنون البلاغية أو عن لون بلاغي واحد، مما يعيق تطبيق نظرية التلقي، فقلما تجد اتفاقاً في نفس الأحاديث بين الباحثين، فبحثت في خطبه (صلى الله عليه وسلم) فإذا خطبة الوداع ماثلة تدعو بقوة كل أبناء العالم الإسلامي على مر الزمان لتأملها والتعمق والغوص في معانيها، فهي خطبة موجهة للأمة الإسلامية بأكملها على مر العصور؛ لذا كانت محط اهتمام ونظر، فكثرت حولها الدراسات، وتناولها عدد من الباحثين في مختلف أقطار العالم

---

[1] – سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، من أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، ٢٧٣/٥، حديث رقم (٣٠٨٧)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

الإسلامي على اختلاف جنسياتهم يجمعهم حب النبي والالتزام بسنته، فكانت خطبة الوداع هي أقوى وأجدر ما يمكن تطبيق نظرية التلقي عليه بالنظر في دراسات الباحثين الموجودة بالفعل.

إن خطبة الوداع لها أثرها في نفس المتلقي؛ لما تحويه من قيم وأفكار، كما أن أفكار الخطبة النبوية ليست فقط تعاليم دينية وتوجيهات سلوكية بل إنها ترسي أسساً ودعائم قوية من أجل السمو والارتقاء بالمجتمع الإسلامي إلى قمة النهضة وقمة الحضارة الإنسانية.

إنها خطبة لكل إنسان ولكل عصر، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يخاطب المتلقي، وكل متلق يستقبل النص بقدر إمكاناته الفكرية والبيانية، وكما قال الجاحظ: "وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤].... مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهيم، وكلما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد. والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم"[١].

والباحث البلاغي يطلق العنان لطاقاته متذوقاً المفردات والتراكيب وممعناً النظر من أجل الكشف عن مواطن الجمال في النص وما انفرد به من خصائص جعلته معجزاً؛ لذا فقد اخترت عدداً من الدراسات البلاغية؛ للكشف عن مدى قدرة المتلقي على استيعاب النص، وإبراز ما به من جماليات، وكيفية تفاعل القارىء مع النص ودراسته في إطار بلاغي، فلكل نص دقائق ولكل متلق سمات يهتدي بها أو يُهدى إلى هذه الدقائق وقد لا

[١] – البيان والتبيين ١/٣٤.

يهتدي إليها، ويبقى النص بحاجة إلى تنوع الأفهام والأذواق والرؤى والخبرة وكثرة التدرب والتمرن على تأمل النصوص من أجل الكشف عن جمالياته، ومن هنا تتعدد القراءات للنص الواحد، وفي هذا كله إثراء للنص، وهذا على حد قول الإمام عبد القاهر الجرجاني "ههنا دقائق وأسرار طريق العلم بها الروية والفكر، ولطائف مستقاها العقل، وخصائص معان ينفرد بها قوم هدوا إليها، ودلوا عليها، وكشف لهم عنها، ورفعت الحجب بينهم وبينها...."[1].

وقد تناول عدد من الدارسين خطبة الوداع بالدرس والتحليل البلاغي، وعلى الرغم من قلة الدراسات التي تناولت (خطبة الوداع) إلا أنه قد تبين بالبحث تنوع هذه الدراسات، ما بين دراسات ذات قراءات معاصرة ودراسات اهتمت بالتحليل البلاغي كما ورد في التراث العربي، مما يسهم في خدمة البلاغة النبوية، فدراسة اهتمت بالأسلوبية، وأخرى في تجليات الحجاج في خطبة الوداع، ودراسة بلاغية صرفة تناولت التصوير البياني للنص، لذا فإن القراءات التي أتناولها فيما يلي لا تخرج عن هذه العناوين الرئيسة: الظواهر الأسلوبية، التصوير البياني، الحجاج.

[1] – دلائل الإعجاز ٧.

القراءة الأولى:

قراءة جليل رشيد فالح (رحمه الله) والتي عنونها بـ

(خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية)

إن قاريء العنوان يفهم من الوهلة الأولى أن الكاتب سيكرس عنايته لاستخراج فنون البلاغة التي اشتملت عليها الخطبة، لكنه وإن عنون قراءته بهذا العنوان إلا أنه جعلها خاصة أكثر ما يكون بأسلوب التوكيد ولم يستخرج كثيراً من السمات الأسلوبية.

وقد بدأها بتمهيد في بلاغة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وارتقائها "إلى أعلى مدارج الكمال البشري في حسن التأتي للمعاني بأدق ما يمكن أن تؤديه المفردات والجمل من دلالات ومعان تقع في النفوس موقعاً بالغاً من التأثير ما لا تنقضي عجائبه ولا يذهب بروائه ورونقه تقادم العهد وكثرة الترداد"[١].

وفي نهاية تمهيده ذكر متألماً، قائلاً : "وفي ضوء هذا كله كان جديراً بالدارسين أن تكون لهم وقفة بل وقفات متأنية متأملة عند البلاغة النبوية بعقد مباحث تحليلية تكشف عن مواطن البراعة والدقة في فن القول في أرفع مستوياته"[٢].

---

[١] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية، جليل رشيد فالح (مدرس)، ٤٠٩، آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، جليل رشيد فالح، العدد ١٣، الصفحات (٤٢٤–٤٠٨)، سنة ١٩٨١م.

[٢] – المرجع السابق ٤١٠.

الغاية من البحث:

والهدف من بحثه في خطبة الوداع: "الدخول إلى ساحة البلاغة النبوية من خلال دراسة نص كريم غني بمعانيه السامية ومضامينه السديدة، مصوغ بالأسلوب البليغ والأداء الدقيق"[١].

طبيعة البحث:

جعل الكاتب لبحثه غاية علمية وتذوقية رفيعة، يقول: "فالغاية أن نقف عند مقاطع من هذا النص النبوي، وهو (خطبة الوداع) متأملين دلالاتها البلاغية؛ للكشف عن جمالية توظيف الفن البلاغي الذي يرد في الحديث النبوي بعيداً عن معاناة الصنعة والإقحام أو ابتغاء الحلية اللفظية التي لا غناء فيها"[٢]، لقد صرح بهذه الكلمات المختارة بعناية أنه يهدف إلى تلقي الفنون البلاغية وبيان أثرها ودراسة الخصائص الفنية للخطبة إلا أن جليل رشيد فالح لم يكشف عن كثير من الفنون البلاغية في الخطبة النبوية.

وبدا أكبر تركيزه واهتمامه في الحديث عن أدوات التوكيد اللفظية في النص، من ذلك قوله: "وقد جاء التوكيد في مقاطع الخطبة بأكثر من وسيلة، وهي أداة التوكيد إنَّ، والتكرار، وتقديم ما حقه التأخير، (ومنه القصر)، وأداتا التحقيق والتوكيد (قد وكل)، ومما جاء مؤكداً بإن:

"إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام...."، "وإنكم ستلقون ربكم...."، "وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله"،"وإن كل دم في الجاهلية

---

[١] – المرجع السابق ٤١١ .

[٢] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤١٠.

موضوع...."،"وإن أول دمائكم أضع...."، "تقدم الجار والمجرور (عليكم) على خبر إنَّ... بعد أن هيأ تقديم الجار والمجرور الأذهان لتلقي الخبر"[١].

ومما جاء مؤكداً بالتكرار "كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا"[٢]، مبيناً سر جمال التعبير بأسلوب التوكيد قائلاً: "إن حرمة الأموال والدماء ولقاء الله ووضع الربا والدماء مما تعد من كبريات القضايا التي كانت تسود حياة العرب، وكان لا بد لها من الحسم القاطع تنمية للمجتمع الإسلامي من كل بقايا الجاهلية"[٣].

انصب اهتمامه على أساليب التوكيد اللفظي والمعنوي وتطور الأمر حتى استنبط نوعاً جديداً أسماه التوكيد الضمني، يقول معلقاً على قوله (صلى الله عليه وسلم): "قضى الله أنه لا ربا" "أرى أن ننظر فيه من وجهتين، الأولى: إن خلو المقطع من أدوات التوكيد هو أيضاً من باب إنزال المتردد أو المنكر منزلة خالي الذهن؛ لوضوح الأمر وبداهته، فكيف يصح في شرع قوامه العدل والحق أن يكون فيه إباحة للربا وهو ظلم فاحش. الثانية: إنني ألمح أن الصيغة التي سبقت بها العبارة مؤكدة لذاتها، وهذا يدعونا إلى القول إن[٤] في المقطع توكيداً ضمنياً يوحي به عموم العبارة، فهل يفهم من الفعل (قضى) غير الأمر الجازم الذي لا محيد عنه، وهل يفهم من قوله: (لا ربا) بهذا النفي غير أن يكون الحكم حاسماً لا خلاف فيه. ويشبه ذلك ما يستخدم من العبارات الشائعة من قولهم: يجب أن– ولا

---

[١] – المرجع السابق ٤٢٠.

[٢] – المرجع السابق ٤١٧.

[٣] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤١٧.

[٤] – في الأصل بفتح الهمزة، وهو خطأ، خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤٢٢.

بد أن- ولا مناص من، أليست هذه الصيغ مما يحمل التوكيد ضمناً من تضاعيفها. وبهذا يمكننا أن نضيف نوعاً جديداً لأساليب التوكيد المعنوي واللفظي نسميه بالتوكيد الضمني، وهو ما يستفاد من عموم العبارة التي تُساق بحيث لا تحتمل من المعاني إلا وجهاً واحداً يفيد الجزم والحسم والتوكيد"[١]. وفي رأيي أن التوكيد في الجملة سببه التعبير بالفعل الماضي (قضى)؛ فدلالته على الثبوت والدوام تفيد التوكيد، كذلك استخدام (أنَّ) وبها يُرَدُّ قوله "خلو المقطع من أدوات التوكيد".

وإلى جانب عنايته بالكشف عن التوكيد وبعض أدواته ووسائله فقد أشار كذلك إلى الأساليب الإنشائية، مثل: (الاستفهام)[٢]، يقول معلقاً على قوله (صلى الله عليه وسلم): "اللهم هل بلغت" متسائلاً عن مجيء الاستفهام في هذا الموضع حقيقة هو أم مجاز، ثم تناول التعبير من جانبين: الجانب الأول: أن الاستفهام مجازي خرج إلى التقرير والتثبيت، والجانب الثاني: ان الاستفهام على حقيقته بدليل إجابة الجمهور: "اللهم نعم".

و(النداء)[٣] يقول جليل رشيد معلقاً على قوله (صلى الله عليه وسلم): "أيها الناس" في مستهل خطبته: "وليس يسعنا في هذا الموضع أن نحمل حذف الأداة على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن ذلك يدعونا إلى القول إن المنادى ممن سها أو غفل...، إلا أن حذف الأداة هنا كان على الحقيقة

---

[١] – المرجع السابق ٤٢٢.

[٢] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤٢٣ بتصرف.

[٣] – المرجع السابق٤٢٣.

والحال وليس عدولاً عنها تنزيهاً من الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين عن السهو والغفلة".

و(الأمر)[١] كان يشرح القاعدة أحياناً، وهذا استطراد؛ لأن البحث تطبيقي وليس تعليمي، مثل قوله معلقاً على قوله (صلى الله عليه وسلم): "اسمعوا قولي": "وللأمر وجهتان في التعبير البلاغي: حقيقي ومجازي، وللمجازي أغراض متنوعة ينبغي أن نحدد باديء ذي بدء مدلول الأمر الحقيقي والأمر المجازي؛ لنتبين في أي المسارات تتجه هذه الصيغة"[٢]، وبعد أن عرَّف الأمر الحقيقي والأمر المجازي – بالرجوع إلى كتاب الإيضاح للخطيب القزويني– ذكر رأيه في تحديد نوع هذا الأمر قائلاً: "هذا الموضع مجازي... أقول ذلك من غير أن يتبادر إلى الذهن أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا قبل له بأن يأمر قومه بما يشاء فيطاع، هذا أمر لا مشاحة فيه"[٣] ثم عاد يقول: "فإن المعنى المجازي الذي أرجحه من خلال صيغة الأمر هو لفت الأنظار وتوجيه النفوس أو تنبيه المخاطب إلى ما يعرضه عليهم من توجيهات"[٤].

وفي تحليله لصيغتي النداء والأمر معاً في قوله (صلى الله ليه وسلم): "أيها الناس اسمعوا قولي" ذكر إحدى سمات البيان النبوي مستشفاً من خلال هذا التعبير "صورة التناغم البياني بين أجزاء المقطع، وتلك خصوصية من

---

[١] – المرجع السابق ٤١٤.

[٢] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤١٤.

[٣] – المرجع السابق ٤١٤.

[٤] – المرجع السابق ٤١٥.

خصوصيات البلاغة النبوية الكريمة"[١]، واضعاً بذلك صفة (التناغم) والتآلف بين مقاطع حديثه (صلى الله عليه وسلم) إحدى سمات الكلام النبوي.

وللمتلقي نصيب من حديثه يقول: "ونحن نقول إن أداة التوكيد سواء كانت واحدة أم أكثر فإنها تفيد توثيق الأمر وضمان حسن تلقيه وأثره في نفس المتلقي واتخاذه موقف معين مضامينه سواء أكان في الأمر شك أم لم يكن، وإلى جانب ذلك إشعار بأهمية الأحكام المعروضة ضماناً لحشد الطاقات النفسية والاجتماعية لاجتثاث ما علق بالنفوس والواقع المعيش من آثار وقيم نسخها الدين الإسلامي"[٢].

كما ظهر المتلقي في ختام بحثه بقوله: "وبذلك حققت البلاغة النبوية نمطاً فريداً من التعبير راعى فيه حال المتكلم وموقفه مبدئياً ونفسياً، وراعى في الوقت ذاته المخاطبين وما هم عليه من موقف إزاء ما يلقى عليهم، فوجدوا أنفسهم أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يستفهم بقوله: (هل بلغت) ليجيء الجواب في إثره: (اللهم نعم)... وهو جانب يعزز الحالة النفسية للرسول المبلغ حيث استوثق أنه أدى الأمانة كاملة غير منقوصة"[٣].

---

[١] – المرجع السابق ٤١٤.

[٢] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤١٧.

[٣] – المرجع السابق ٤٢٣.

ملاحظات عامة على البحث:

أ- نقل خطبة الوداع من سيرة ابن هشام[١]، ووددت لو نقلها من الصحيحين؛ لأن ابن هشام لا يعني بسند الأحاديث كالإمامين البخاري ومسلم.

ب- عنوان البحث عميق في مراده، يحمل بين طياته دقة التحليل والكشف عن الفنون البلاغية والسمات الأسلوبية لخطبة الوداع، إلا أن مضمون البحث لم يؤد المهمة المرجوة التي حملها العنوان، حين ركز القاريء على التوكيد وأدواته وأساليبه، ثم ذكر عدداً من الأساليب الإنشائية، دون التحليل الأسلوبي الدقيق.

ج- ومن الأمور الملحوظة في هذا البحث ورود أخطاء مثل فتح الهمزة بعد القول: "القول أن"[٢]، والصواب: كسر الهمزة، كذلك استخدام علامات الاعتراض في غير موضعها أحياناً ولكن بشكل ملحوظ، مثل قوله: "يجب أن – ولا بد أن – ولا مناص من"[٣]، وليس في البحث كبير عناية بعلامات الترقيم.

د- خلو البحث من النتائج، والتي كان من الصواب أن تحتوي على عدد من السمات البلاغية للبيان النبوي.

إلا أن هذا البحث كان له قيمة كبيرة لدى عدد من الباحثين ممن تناولوا خطبة الوداع بالدرس والتحليل البلاغي وبدا أكبر تأثيره على بحث بعنوان:

---

(١) – "السيرة النبوية لابن هشام، القسم الثاني ٦٠٣- ٦٠٤" خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية، حاشية ص٤١٢.

(٢) – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤٢٢.

(٣) – المرجع السابق ٤٢٢.

(الظواهر الفنية والجمالية لخطبة الوداع....)؛ لذا ألحقت هذه القراءة بسابقتها، وقد تمثل هذا التأثر في نقل عدد من الآراء والأفكار[١].

القراءة الثانية:

قراءة بعنوان: (الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية، لـ غلامعباس رضائي هفتادر)[٢]

وتبرز أهمية هذا البحث في محاولته الجادة في تطبيق المنهج الأسلوبي.

مصدر نقله لخطبة الوداع:

في الحقيقة إن مصدر نقل الخطبة له أهمية كبيرة؛ إذ أن المصدر المنقول عنه يكشف مدى حرص القارىء على توثيق النص النبوي، وقد نقل نص خطبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من كتاب البيان والتبيين للجاحظ[٣]، ووددت لو تم نقلها من كتب السنة التي تهتم بالصحيح كصحيحيّ البخاري ومسلم، أو تلك التي تحكم على الحديث بصحته من

---

[١] – ينظر (الظواهر الفنية والجمالية لخطبة الوداع ٥٨)، على سبيل المثال.

[٢] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية، غلامعباس رضائي هفتادر، بحوث في اللغة العربية، نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان، العدد ٢١، خريف وشتاء ١٤٤١ هـ ق/ ١٣٩٨هـ. ش، المقالة: محكمة، الصفحات من ص ٥١ – ٧٤، تاريخ التسليم ١٣٩٦/٢/٦هـ ش، تاريخ القبول ١٣٩٧/١٢/١٤هـ.

[٣] – وردت خطبة الوداع في البيان والتبيين للجاحظ، ٢/٢٢– ٢٤.

عدمها كسنن الترمذي الذي حكم على الرواية التي أوردها لخطبة الوداع قائلاً: "هذا حديث حسن صحيح"[١].

الغاية من البحث:

يتصدر البحث ملخصاً جاء فيه: "يتناول هذا المقال دراسة فنية لخطبة حجة الوداع الشهيرة بغية الكشف عن هيكلها البنائي وملامح من جمالياتها الفنية"[٢]، ولا أدري لم تم إطلاق لفظ مقال على هذا البحث العلمي، فالبحث يختلف عن المقال، ولكل منهما أسس متبعة، وقد تكرر لفظ (مقال) مرة أخرى في توضيح محاور البحث، يقول: "وأما هذه المقالة فإنها تحتوي على بضعة محاور: المحور الأول يتعلق بتعريف نص خطبة الرسول وذكرها بعينه للتعرف على هذه الخطبة بشكل مختصر، والمحور الثاني يختص بأفكار النبي الرئيسة[٣] المطروحة في الخطبة المذكورة وشرح تلك الأفكار، وهو أساس المقالة وقوامها، والمحور الثالث يتطرق إلى ميزاتها الفنية والأسلوبية وكيفية استخدام الألفاظ والمعاني والعاطفة والأسلوبية فيها"[٤]، والمحور الثالث هو لب اهتمامنا.

---

[١] – سنن الترمذي، من أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، ٢٧٣/٥، حديث رقم (٣٠٨٧).

[٢] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٥١.

[٣] – هذا هو الصواب، وفي الأصل: (الرئيسية). الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٥٢.

[٤] – المرجع السابق ٥٢.

أما عن **أهداف البحث**، فقد وضع له أهدافاً حددها في ثلاث نقاط:

"١- تجلية كوامن التناسق والتناغم والتكامل صوتياً ودلالياً وتركيبياً في خطبة الوداع.

٢- محاولة تطبيق المنهج التحليلي الأسلوبي والفني على الخطبة.

٣- بيان أهمية الخطابة النبوية وأفكارها الرئيسية الموجودة فيها ومساهمتها في الدعوة إلى الله"[١].

ظهر **المتلقي** في معرض الحديث عن الخصائص الفنية للخطبة، وقد ذكر منها: "التنويع في داخلها بين الإيجاز والإطناب والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم وفيها التوازن والمقابلة بين الجمل والعبارات لجذب الانتباه وتعميق التأثير وسرعة الاستجابة، إذ يأخذ التوازي معناه داخل المتناقضات التي يثيرها، فيقيم من وسط التناقضات والتداعي حركة إيقاع الخاص في النص"[٢]. فجذب الانتباه وتعميق التأثير وسرعة الاستجابة أمور متعلقة بحال المتلقي.

ومرة ثانية يظهر المتلقي في الحديث عن الخصائص التركيبية لخطبة الوداع قائلاً: "يتضح أن النبي أكثر من استخدام الجملة الفعلية للدلالة على التحرك والحيوية الناشئة من الكلمات الإرشادية المستخدمة لإلقاء محاضرته لتكون محاضرته أكثر تأثيراً على المتلقي. ولا شك أن هذا الاستخدام البارز

---

[١] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٥٣.

[٢] – المرجع السابق ٥٧.

للجمل الفعلية جاء [مناسباً][١] لغرض الخطبة والجو العام الذي سيطر عليها، وهو جو الرحمة والوعظ، والإرشاد والوداع والتوصية"[٢].

ومن الأساليب البارزة التي رأى أن لها تأثيراً على المتلقي، كثرة استخدام الفعل المضارع، يقول: "تعتمد الخطبة في صياغة أفكارها على الأفعال المضارعة التي تدل على الحال والاستقبال غالباً بدلالتها النحوية، فعلى سبيل المثال: " ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ... عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ﴾[التوبة: ٣٧] نشاهد في هذه العبارات توظيفاً مكثفاً لصيغة الفعل المضارع لأجل إيصال ما يريد الخطيب إلى المتلقي بشكل أفضل؛ لأن الخطيب يريد أن يحكي للمتلقي ما يحدث في القادم لا ذكريات الماضي، حيث يستخدم الأفعال المضارعة للحصول على مقاصده الإرشادية صالحة لمجتمع المسلمين"[٣].

كما ذيل البحث بخاتمة ورد فيها عدد من السمات البيانية للحديث النبوي، يقول فيها: "إن أسلوب النبي في هذه الخطبة يمتاز بسهولة الألفاظ وجودة الأسلوب وينفرد بالعبارات القليلة التي تجمع المعاني العظيمة بعيدة عن التكلف في الألفاظ أو الإطناب في العبارات؛ لأن مستمعيه ومخاطبيه كانوا جميع الناس عامهم وخاصهم... حيث أطالها لما كان فيها من

---

[١] – الصواب: (مناسباً لـ...) أو (متناسباً مع)، وقد جاء في بحث الظواهر الفنية "متناسباً لـغرض..."، الظواهر الفنية والجمالية لخطبة الوداع ٦٠.

[٢] – المرجع السابق ٦٠.

[٣] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة الوداع ٦١.

المصلحة واجتماع الناس وتلقيهم"[1] يلاحظ ذكره للتلقي واهتمامه بأحوال المتلقين.

العاطفة في الخطبة:

بأسلوب النفي والاستثناء الذي يفيد التوكيد ورد في البحث هذا القول: "لم تظهر في النص إلا عاطفة الحرص من جانب الرسول الكريم على الأمة الإسلامية"[2]، وهي بالفعل عاطفة سائدة في نص الخطبة، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) لم يترك جانباً من جوانب إصلاح المجتمع الإسلامي إلا ولخص له ما له من حقوق وما عليه من واجبات، إلا أنه لا يُكتفى بكلام الباحث؛ لأن النص كان يحمل عاطفة أخرى تؤجج المشاعر، وهي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان قد نعي إليه أجله، وأقوى دليل من نص الخطبة نفسها تكراره (صلى الله عليه وسلم) لقوله: "اللهم هل بلغت" فهذا الاستفهام يثير انتباه السامع، وهذا التكرار لهذا التعبير، وحرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على إعادته على مسامع الحاضرين أسلوب يهز الوجدان ويسيطر على المشاعر ويثير الذهن مستفهماً: لماذا يؤكد النبي على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، ولم يشهدهم ويشهد ربه على ذلك؟ لذا نجد جوابهم المباشر: (نعم)، وفيه إقرار بأدائه (صلى الله عليه وسلم) الرسالة، ومشاركة وجدانية مع وجدانه (صلى الله عليه وسلم).

إن مشاعر النبي الصادقة في توجيه الأمة يزاحمها مشاعر الوداع دون التصريح به؛ لئلا يفجع السامع، ولا شك أن أسلوبه (صلى الله عليه وسلم)

---

[1] – المرجع السابق ٧١.

[2] – المرجع السابق ٥٧.

قد لامس شغاف قلوبهم، فالعاطفة التي ذكرها الباحث عاطفة عامة خالطتها تلك العاطفة الخاصة التي لا يمكن إنكارها والتي تعد أكثر استمالة لقلوب السامعين الذين شهدوا النبي (صلى الله عليه وسلم) واستمعوا لخطبته بشكل مباشر. ومن المؤكد أن شعوراً آخر كان لدى بعض الصحابة، والذي يثبت بقوة وجود هذا الشعور، ما جاء في صحيح البخاري "عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج بهذا، وقال: «هذا يوم الحج الأكبر» فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم اشهد» وودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع"[(١)]، والذي يقرر أيضاً وجود هذا الشعور في أعماق الصحابة (رضوان الله عليهم) مما ورد في صحيح البخاري كذلك: "حدثنا أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: «إنه ممن قد علمتم» قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا

---

(١) – صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، باب: الخطبة أيام منى، ١٧٧/٢، حديث رقم (١٧٤٢)، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. قال عمر: "ما أعلم منها إلا ما تعلم""[1].

وفي حديثه عن الظواهر الأسلوبية في الخطبة يقول: "اعتمد على الجمل الفعلية أكثر من غيرها ليكسب النص قوة وتأثيراً كما اعتمد على المزاوجة بين الخبر والإنشاء"[2].

ثم بدأ في الكشف عن الظواهر الأسلوبية من خلال أربعة أنماط رئيسة بناء على الأفكار الواردة في الخطبة، وهي:

١-نمط النداء الخطابي المباشر

مستشهداً بقول النبي: "أيها الناس اسمعوا قولي، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام- أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس .... -أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً -أيها الناس، اسمعوا قولي"، قائلاً: "ومما يسترعي الانتباه أن النبي الأعظم قد استهل خطبته بقوله: "أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري،...." وقد استغنى عن أداة النداء؛ (يا) أو غيرها من الأدوات الأخرى، ليعبر عن قربه من المستمعين والحضار. ومما يجدر ذكره أن حذف أداة النداء ههنا قد حقق هذا القرب والتلاحم، فكأن الناس قريبون إلى النبي يناديهم بأرق النداء وأعذبه ليستميل قلوبهم إلى ما يلقى

---

[1] – المصدر السابق، كتاب: المغازي، ١٤٩/٥، حديث رقم (٤٢٩٤).

[2] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٥٨.

عليهم من حسن التوجيه وسديد الإرشاد[١] والاستغناء عن الياء قد حقق كل هذه المعاني. ومن جانب آخر بإمكاننا القول أن النبي خاطب الناس بصيغة العموم (أيها الناس) ليكشف لنا عن عاطفته العامة وحرصه على هداية العالمين جميعاً"[٢].

٢-نمط الأمر والنهي الإرشادي

استشهد بقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "اسمعوا قولي فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها"، "فاعقلوا أيها الناس قولي"، "اسمعوا قولي واعقلوه"، "فلا تظلمن أنفسكم" معلقاً بقوله: "بما أن النبي الأكرم يريد توجيه الأمة لما فيه الخير والسداد والنجاة من النيران، فاستخدم أفعال الأمر والنهي في معانيها الإنشائية المفيدة للوعظ والإرشاد والهداية، فبإمكاننا أن نعتبر هذا الأسلوب الإنشائي من أساليب النبي التعبيرية في هذه الخطبة"[٣].

٣-النمط التأكيدي، من أمثلته "فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، وإنكم ستلقون ربكم..." و"يعتبر من أهم الأنماط التي ساق بها النبي أفكاره في هذه الخطبة؛ لأنه استخدم الكثير من صياغات التأكيد كالتكرار والتقديم وأنَّ وقد...، وقد جعل

---

[١] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤١٣.

[٢] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٥٨.

[٣] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٥٨.

أسلوب التأكيد وسيلة خاصة من وسائل الدعوة وطريقة من طرائق التبليغ في خطبته"[١].

كما تحدث عن التكرار "فظاهرة التكرار في الخطبة تعد من أهم الظواهر الأسلوبية التي تلفت انتباه المخاطبين إلى أهمية تلك الكلمات المكررة إلى جانب محوريتها في النص"[٢].

في حديثه عن المتلقي "ومن الملاحظ أن الخطيب عمد إلى تكثيف الأدوات والأساليب التوكيدية (إنَّ) وجملة الاسمية في عباراته الخبرية هادفاً إلى ترسيخ الموضوعات في ذهن السامعين والمتلقين وإزالة ريبهم، إذا كان موجوداً في تلك المجلات وتبيين أحقيتها والاهتمام الكبير بها. والواقع أن الرسول الأكرم وظف هذه الأساليب الخبرية المقترنة بالتوكيد؛ لبيان مقاصده الإرشادية وأداء رسالتها بالتأكيد والتركيز عليها"[٣].

وتحت عنوان "تنوع الأسلوب بين الجمل الخبرية والإنشائية" يقول: " سيطرت الجمل الخبرية والإنشائية على النص كظاهرة أسلوبية لافتة للنظر فيما نجد إضافة إلى ذلك أن الجمل الإنشائية الموظفة في هذه الخطبة هي النداء الخطابي المباشر والاستفهام والأمر والنهي تقريباً"[٤].

---

[١] – المرجع السابق ٥٩.

[٢] – المرجع السابق ٥٨، ٥٩.

[٣] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٦٢.

[٤] – المرجع السابق ٦١.

ومن الأمثلة التي استشهد بها في أساليب الطلب:

١- النداء "خاطب الرسول الأعظم الناس عموماً بأساليب متنوعة مثل أساليب الطلب لأجل حشد الناس، ومنها قوله بأسلوب النداء الخطابي المباشر "أيها الناس" في مخاطبة الناس عموماً بالصيغة الإنسانية العامة وليس الخاصة فلم يقل "يا أيها المسلمون" أو "يا أيها المؤمنون"، لكي يكون خطاباً عاماً لكل الأجيال والعصور..... للعالم أجمع، فقد اهتم الرسول بهذا الخطاب العام حيث نلحظ أنه كرر هذا النداء ست مرات في الخطبة وأكد على رعاية الشمولية والمساواة[١] بين جميع أبناء البشرية بهذا الخطاب المباشر العام لهم، وهو (أيها الناس)"[٢]. وهذه لفتة طيبة من الكاتب، متفقة مع حقيقة الرسالة النبوية وعموميتها.

٢- الاستفهام والأمر، اكتفى بالاستشهاد بقول النبي "ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!" قائلاً: "إن الاستفهام هنا يفيد التقرير والتثبيت بأنه هل أدى رسالته فيما جعل الله على عاتقه إيصاله إلى الناس أو لم يوفق في إيصال رسالته؟.... وكرر في خطبته الجامعة: "اللهم هل بلغت؟ .... فمن الملاحظ أن النبي كرر هذه الجملة أربع مرات ليؤكد على أنه أدى رسالته..." [٣].

٣- النهي، اسشتهد بقول النبي "ولا يحل لامريء مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه" معلقاً بقوله: "والنهي هنا يفيد الإرشاد والنصح، حيث إن

---

[١] - في البحث كتبت "المساوات" بفتح التاء، الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٦١.

[٢] - المرجع السابق ٦١.

[٣] - المرجع السابق ٦١.

الرسول ينصح ويرشد الحاضرين لئلا يأكلوا مال الآخرين دون [رضاهم][1]"[2].

وفي الحقيقة إن الشاهد الذي استشهد به لا يعد طلباً على الإطلاق ولا يعد نهياً؛ إنما هو أسلوب قصر بالنفي والاستثناء، إذ أن الرسول الكريم قد أثبت حرمة أخذ المسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ونفى الحِلُّ عن ذلك، كما أن فيه إيجاز بالحذف، والتقدير: (أخذ مال أخيه).

الأساليب الخبرية:

"ومن أبرز الأساليب الخبرية التي تدور في هذه الخطبة التي اقترنت بالأساليب التأكيدية كـ (إنّ) ومنها: وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية.... ومن الملاحظ أن الخطيب عمد إلى تكثيف الأدوات والأساليب التوكيدية (إنّ وجملة الاسمية) في عباراته الخبرية هادفاً إلى ترسيخ الموضوعات في ذهن السامعين والمتلقين وإزالة ريبهم،.... والواقع أن الرسول الأكرم وظف هذه الأساليب الخبرية المقترنة بالتوكيد لبيان مقاصده الإرشادية وأداء رسالتها بالتأكيد والتركيز عليها"[3].

---

[1] – كتبت في البحث "رضايتهم"، الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٦١، والصواب ما أثبته في الصلب.

[2] – المرجع السابق ٦١.

[3] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٦٢.

الفنون البلاغية والخيال في الخطبة:

رأى أن الخطبة تتسم بالواقعية، وبعيدة عن الخيال، يقول: "وقد تنوعت الجمل في هذه الخطبة من حيث الصور البيانية بالتشبيه والإطناب بالتكرار والتوكيد.... ولا توجد أنواع الاستعارة والكناية في هذه الخطبة، لأن الصور البيانية من الاستعارة والكناية تشير إلى المعنى بصورة غير مباشرة؛ إذ أنها ثمار التخيل وهي الانحراف عن الكلام العادي. ولكن النبي الأعظم اعتمد على الواقعية في الخطاب، فلذلك لم يوظف الصور البيانية المعقدة التي تتطلب مستوى عالياً من الفهم والقدرة على التخيل؛ لأن مستمعيه ومخاطبيه كانوا جميع الناس عامهم وخاصهم.... فإن النبي قد راعى أحوال الناس في خطبته، إذن لم يستعمل من الصور البيانية إلا تشبيهاً واحداً مع الاحتفاظ بطرفيه المذكورين عقلياً؛ لأن التشبيه يتكيء على الحقيقة لا على الخيال. وهو أقرب وأوضح الصور البلاغية مناسبة لأحوال المتلقين آنذاك"[١].

التشبيه:

رأى أنه قد "انتخب النبي في هذه الخطبة أسلوباً واقعياً واستخدم التشبيه المرسل المجمل بطرفيه عقلياً ليحكم به استدلالاته وبراهينه في.... إيصال مقاصده إلى المخاطبين كما يلي (إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا).... يسيطر الوضوح والعقلية على هذا النص، حيث شبه النبي حرمة الدماء والأموال الناشئة عن الربا بحرمة الشهر الحرام في ضرورة تحريمه"[٢].

---

[١] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٦٢، ٦٣.

[٢] – المرجع السابق ٦٣.

ومن بين الظواهر البلاغية التي ذكرها التضمين والاقتباس قائلاً: "إن النبي ضمَّن خطبته معاني وآيات قرآنية كثيرة.... من ذلك: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة ٢٧٩]، و﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ﴾[التوبة: ٣٧]، و﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾[النساء: ١٩] [الطلاق: ١]. فقوله (صلى الله عليه وسلم): "وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن مقتبس من قول الله تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾[النساء: ٣٤]، وقوله: (فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الذيائتمنه عليها" مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] ويكون التوجيه النبوي: (إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذا) منسجماً مع قول الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

وعن سر جمال الاقتباس يقول: "فبإمكاننا القول بأن الرسول الأكرم لجأ إلى الاقتباس من القرآن الكريم واستعار بعض ألفاظ الخطبة أو معانيها من النصوص القرآنية ليزيد من إيحاءاتها وحمولاتها الخاصة"[١].

وبدا تأثر هذا البحث بما كتبه جليل رشيد فالح، حيث استعان بآرائه كثيراً في هذا حديثه عن التوكيد دلالة تأثره بعمله، كما اتفق معه قائلاً: "وبهذا يمكننا أن نضيف نوعاً جديداً من أساليب التوكيد المعنوي واللفظي نسميه بالتوكيد الضمني والإيحائي، وهو ما يستفاد من عموم العبارة التي

[١] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٦٥.

تساق، بحيث لا يفهم من الكلام والمعاني إلا وجهاً واحداً يفيد القطع والحسم والتوكيد مما لا شك فيه أن التوكيد من الأساليب البارزة لهذه الخطبة حيث وظف النبي صوراً مختلفة من التوكيد ضمن نصه لتفهيم السامعين والحضار وإقناعهم . فحرص النبي على أن تبلغ جملة هذه التوجيهات من مكامن نفوس المسلمين إلى صورة التوكيد: (فلا تظلمن أنفسكم) وكان يسعه (صلى الله عليه وسلم) أن يقول: (فلا تظلموا أنفسكم) لكن نون التوكيد هي بمثابة أداة القرع للنفس خشية أن تغفل فتضل"[١].

ومع إعجابه بأسلوب جليل رشيد بدليل كثرة النقل عنه وتحديداً عند الحديث عن ظاهرة التوكيد فقد كان ينسى أن يحيل القاريء إلى بحث جليل رشيد فالح عندما كان ينقل عنه بعض الفقرات مثل قوله عند الحديث عن صيغة: (اللهم بلغت) إن رسول الله بهذه العبارة كان هدفه أن يبعث في نفسه الطمأنينة" وهو ذاته كلام (فالح) في بحثه السابق ص٤٢٢، ويستكمل (فالح) بقوله: "على أن ما زرعه من كلمات إنما هي الشجرة التي ضربت بجذورها في الأعماق، وسمقت إلى الأعالي باسقة ظليلة آتية ثمراً طيباً"[٢].

كما تحدث عن أسلوب القصر:

"من أهم اللطائف اللغوية والبلاغية المستخدمة في هذه الخطبة البلاغية هو أسلوب القصر الذي يزيد الكلام قوة وتأكيداً في مواقع متعددة من هذه

---

[١] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٦٧، خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤٢٢.

[٢] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤٢٢.

الخطبة الجامعة" واستشهد بقوله (صلى الله عليه وسلم): "إنما المؤمنون إخوة" و"إنما النساء عندكم عوان"، و"إنما النسيء زيادة في الكفر"[١].

"ومن الخصائص التركيبية لخطبة حجة الوداع... أن الخطبة تكونت من العبارات القصيرة والموجزة بإيجاز القصر في الغالب؛ لأن النبي ضمن موضوعات كثيرة في هذا النص القصير وتزيد هذه الجمل القصيرة من الشمولية وتأثيرها على المتلقي معنى وإيقاعاً"[٢]، وذكر مثالاً عدَّه من إيجاز القصر، يقول: "(فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) من نوع إيجاز القصر، فتوظيف الكلام بهذه الصورة الموجزة يشمل معاني كثيرة مكنونة في الذهن ويؤدي بها الخطيب ما يريد إيصاله في أقصر نص ممكن"[٣].

والمعنى: لا تعودوا لما كنتم عليه في الجاهلية تفعلون كما يفعل الكفار في قتل بعضهم بعضاً، وهذه الجملة النبوية بها كثير من البيان، فقوله: (لا ترجعوا بعدي كفاراً) أسلوب إنشائي (نهي) خرج من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي هو النصح والتحذير، وفي قوله: (بعدي) إيجاز بالحذف، أي: بعد موتي، وقوله: (يضرب بعضكم رقاب بعض) كناية عن العداوة والكراهية، ولفظ (رقاب) مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء (رقاب) وأراد الكل (الجسم كله)، وسر جمال التعبير بالأسلوب المجازي: الدقة والإيجاز.

---

[١] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٧٠.

[٢] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٧٠.

[٣] – المرجع السابق ٧١.

تعقيب: وبشكل عام فقد ركز (جليل رشيد فالح) على التوكيد، واستطاع أن يقدمه بصورة تشير إلى جهده الكبير المبذول في التحليل، بينما من الملاحظ أن كتاب (الظواهر الأسلوبية) قد كرر الحديث عن أساليب الإنشاء بدءاً من حديثه عن الظواهر الأسلوبية في الخطبة والتي حددها من خلال "نمط النداء، ونمط الأمر والنهي"[١] ثم تحدث عنها مرة ثانية تحت عنوان: (تنوع الأسلوب بين الجمل الخبرية والإنشائية) يقول فيه: "سيطرت الجمل الإنشائية على النص كظاهرة أسلوبية لافتة للنظر، وذلك أن الجمل الإنشائية الموظفة في هذه الخطبة هي النداء الخطابي المباشر والاستفهام والأمر والنهي تقريباً"[٢] ثم عاد مرة ثالثة يذكر الأساليب الإنشائية تحت عنوان: (الظواهر الدلالية والبلاغية في الخطبة) وهذا في رأيي تكرار، فقد كان يكفي ذكرها مرة واحدة وبيان جماليالتها دون الحاجة إلى التكرار.

كذلك كرر الحديث عن التوكيد، أولاً ضمن الظواهر الأسلوبية في الخطبة تحت عنوان: (النمط التأكيدي)[٣]، ومرة ثانية ضمن الظواهر الدلالية والبلاغية في الخطبة تحت عنوان: (التكرار والتوكيد)[٤].

ويلاحظ في بحث (الظواهر الفنية والجمالية...) أيضاً وجود أخطاء لغوية مثل: "جاء متناسباً لغرض الخطبة"[٥]، والصواب: (مناسباً لـ) أو

---

[١] – المرجع السابق ٥٨.

[٢] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٦١.

[٣] – المرجع السابق ٥٨.

[٤] – المرجع السابق ٦٥.

[٥] – المرجع السابق ٦٠.

(متناسباً مع غرض الخطبة)، و"المساوات بين جميع أبناء البشرية"[١]، والصواب: (المساواة) بالتاء المربوطة، و"دون رضايتهم"[٢]، والصواب: (إرضائهم) أو (رضاهم)، و"النبي تأكد على ضرورة استرجاع الأمانات إلى صاحبها الرئيسي أو تسليمها إلى الذين بإمكانهم أن يتكأوا عليهم في أداء هذه الأمانة المعهودة إلى صاحبها"[٣]، والصواب: (أكد) و(الرئيس) و(يتكؤوا)، ومن الملاحظ أيضاً عدم الاهتمام بوضع علامات الترقيم خاصة الفاصلة المنقوطة؛ الذي لا يوجد اهتمام بوضعها وقد توضع فاصلة بدلاً منها وقد لا يوضع شيئاً.

كذلك وجود أخطاء علمية حيث جعل (لا) في قول النبي: "ولا يحل لامرىء مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه" من قبيل النهي.

ذُيِّل بحث (الظواهر الفنية...) بخاتمة لخصت ما ورد في متن البحث، في حين لم يذيل بحث (خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية) بخاتمة على الرغم من أهميتها في كل بحث.

---

[١] – المرجع السابق ٧٠.

[٢] – المرجع السابق ٦١.

[٣] – الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية ٦١.

القراءة الثالثة:

قراءة الباحثة/ تغريد عبد العزيز سعد، المعنونة بـــ (التصوير البياني في خطبة الوداع)[١]

ولما كان بحث (الظواهر الفنية والجمالية...) السابق قد ذكر أن الخطبة قد خلت من الخيال –كما تبين سابقاً– فقد قررت البحث عن قراءة أخرى للخطبة. فكانت القراءة الثالثة هي قراءة في بحث (التصوير البياني في خطبة الوداع)، وهذه مفارقة كبيرة، أعني أن تجد باحثاً ينفي وجود الشيء نفياً باتاً معللاً له بأسباب، ثم تجد باحثاً آخر يثبت وجود نفس الشيء بالتطبيق الفعلي المباشر، ومن هنا تنبع أهمية تنوع القراءات، ونقد القراءات.

وبنظرة عامة سريعة إلى بحث (التصوير البياني في خطبة الوداع) نجد أن القارئة لم تقسم البحث إلى فروع تيسر على القارىء الوصول للصورة بل ذكرت الصورة ضمن ما ذكرته في تحليل الخطبة، فاشتمل البحث على مقدمة "فيها نبذة عن الموضوع وبيان أهميته وأسباب اختياره، وأهداف دراسته ومنهجه متضمناً حدوده"[٢]، ومما جاء فيه قول القارئة: "ثم عرضت لخطبة حجة الوداع – برواياتها المتعددة– بالتحليل والإيضاح راجية الله أن

---

[١] – التصوير البياني في خطبة الوداع، تغريد بنت عبد العزيز سعد(المحاضر بقسم اللغة العربية تخصص البلاغة والنقد، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الآداب والعلوم الإدارية)، المصدر: مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، الناشر: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنصورة، ج١، ع٢٩، المجلة محكمة، الصفحات: من (١٢٧–١٦٧)، ٢٠١٠م.

[٢] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٣٢.

تكون استوفت المعنى وأبرزت المقصود من خلال إبراز الصورة البيانية الفاعلة في النص المؤثرة فيه"[1] ثم تمهيد تحدثت فيه القارئة عن مفهوم التصوير البياني والخطب النبوية ثم تحليل عام لخطبة الوداع ثم مراجع البحث يليها ملخصين بالعربية ثم الانجليزية ثم فهرس الموضوعات.

وفي الحقيقة ألتمس العذر للباحثة إذ لم تقسم بحثها إلى ما عهدناه من فنون تندرج تحت مسمى التصوير البياني كالتشبيه وغيره، ذلك لأن الخطبة لم تكن تهدف إلى إثارة الخيال بل كانت تهدف إلى إثارة الوجدان وتحريك المشاعر وجذب العقول وتنبيهها إلى أسس وقواعد تعد ركائز إسلامية لا ينبغي أن يحيد عنها المسلم.

أهمية البحث:

تبرز أهمية بحث (التصوير البياني في خطبة الوداع) من عناية القارئة بشكل كبير بدور كل من الصانع والمتلقي، كما أنها أفردت لهذا عنواناً إذ كتبت تقول تحت عنوان: (أثر الصورة على الصانع والمتلقي والنص): "الصورة لها فاعلية التأثير والتأثر، وهي ذات مساس بالعواطف والأحاسيس الموجودة غالباً في الشعر، ارتبطت الصورة بالشعر أكثر، إذ النثر يتناول في أغلبه حقائق علمية تحتاج إلى أدلة قاطعة وبراهين مؤكدة في أول أمرها، وقد يستعان بالعواطف كمرحلة ثانية بهدف التأثير والتأثر"[2]، وإن كنت أتفق مع القارئة في أن الصورة ذات مساس بالعواطف والأحاسيس إلا أني لا أرى أن النثر في أغلبه يتناول الحقائق العلمية فيما يتعلق بالنصوص التي تكون

---

[1] – المرجع السابق ١٣٢.

[2] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٣٨.

محط نظر الباحثين أمثالنا، فهناك نثر علمي خال من الصور الخيالية والبديع، وهذا ليس له نصيب من عملنا، وهناك نثر علمي متأدب يمزج بين الصور والأخيلة والبديع إلى جانب الحقائق العلمية.

مصدر نقل خطبة الوداع:

وفقت القارئة حين نقلت الخطبة من صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد بن حنبل[١].

بلاغة الصورة:

بعد أن تناولت القارئة الصورة عند العلماء الأوائل وأشارت إلى مواضعها في كتب بعض الكتاب المتأخرين تناولت بلاغة الصورة حيث ذكرت عدة **أسرار جمالية للصورة** أبرزها: "وتتفاوت الصورة بين القوة والضعف، وبين الجمال وقلته، حسب قدرتها على نقل الفكرة وإجلائها، وتبرز أهميتها في كونها فاعلة للنص، مجسدة للمعنى، تعمل على إثارة تفكير المتلقي، وتنبيهه للمعنى المعروض والتيقظ له، فلا يلتقي المتلقي بالمعنى مباشرة إنما يعمل على التفكير له ثم استنتاج الغرض من ورائه، مما ينشط الذهن ويمتعه فيدرك المعنى من خلالها، ويثبت نفسه في ذهن مستقبلها، فتجد المعنى المصور سريع الاستحضار أكثر من المعاني الأخرى التي تراكمت فيها الأفكار دون تصوير"[٢].

"وللصورة كذلك فضل الإتيان بالمعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، أي أن لها القدرة على إيجاز أنماط الكلام وأنواع المعاني. والصورة تفيد في الإبانة عن فكر المصور، وحدود ثقافته، ودرجة بلاغته، وحسن بيانه، كما تبين

---

[١] – المرجع السابق ١٤٤.

[٢] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٣٩.

قدرة الصانع لها، في تكوينها ومهارة استدعائها في مقاماتها المناسبة، فتمايز الشعراء يبدو من استخدامهم للصورة"[١].

وقد أبدعت القارئة في بيان فضائل الصورة وأهم ميزاتها، ففيها الإيجاز والمبالغة والتجسيد والتشخيص ولها أثرها على المتلقي حيث تنشط الذهن وتثير التفكير.

وفي الحديث عن مفهوم التصوير البياني حرصت على الكشف أولاً عن لفظ التصوير في القرآن الكريم وفي السنة النبوية ثم انتقلت إلى الصور عند العلماء العرب بدءاً من الجاحظ (٢٥٥هـ) وصولاً إلى عبد القاهر الجرجاني الذي "أرجع الفضل في مزية الكلام وشرفه إلى الألفاظ والمعاني والصورة مجتمعين دون تميز أحد هذه العناصر عن الآخر"[٢]، يقول: "العلماء الأوائل انقسموا إلى قسمين: منهم من يرى أن الصورة غير اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون، أي أنها عنصر ثالث يستخرج مكنوناتها، مثل: الجاحظ وعبد القاهر. ومنهم من يرى أنها تدل على الشكل ولا غير مثل ابن طباطبا وقدامة بن جعفر والعسكري. ولكن مفهوم الصورة بدأ يضيق ويتحجر على يد السكاكي (ت٦٢٦هـ) والخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) وشراح التلهيص حيث أصبحت الصورة دالة في معانيها على التشبيهات والاستعارات"[٣].

"والباحثة تؤيد كون الصورة قوة قادرة على الكشف عن كوامن المعنى، وقادرة على إبراز الصفة المتضمنة في المعاني، وإيماءات الألفاظ، وسبيلها في ذلك الوصف أو التجسيد أو التمثيل، وبواسطة الصورة تقاس درجة العاطفة لدى المتكلم، ودرجة التأثر لدى المتلقي الجيد"[٤].

---

[١] – المرجع السابق ١٤٠.

[٢] – المرجع السابق ١٣٦.

[٣] – التصوير البياني في خطبة الوداع ي ١٣٧.

[٤] – المرجع السابق ١٣٧.

عن التحليل البلاغي للخطبة:

قامت القارئة بتحليل الخطبة – بعد نقلها من مصدرها– تحت عنوان: (الإيضاح)، وفيما يلي الصور البيانية التي استخرجتها القارئة وتناولتها بالشرح والإيضاح:

١–التشبيه المركب

ذكرت له عدة أمثلة، منها قوله (صلى الله عليه وسلم): "ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض"، تقول القارئة: "وأتي المصطفى الكريم بخبر تغير الزمان وَعَوْدِهِ إلى ترتيبه الأصلي مسبوغاً بالتصوير البياني، فشبه حال الزمان الذي يخطب فيه خطبته في عدد أشهره وترتيبه ترتيباً صحيحاً مع تحريم أربعة منها، بحال الزمان الأصلي الذي خلقه الله قبل تغيير الناس له في ترتيب أشهره وتحريم أربعة منها، وهي: رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، والجامع هيئة حاصلة من حصول المطابقة في الأشهر عدداً، وترتيباً، وتحريماً لأربعة منها"[١].

وأوضحت سر جمال التعبير بهذا الأسلوب بقولها: "فجاء التشبيه المركب لإرادة بيان تقرير الله وتثبيته عود الزمان بعد التشريع إلى ترتيبه الأصلى [الذي][٢] خلقه الله عليها قبل تغيير الناس في عدد أشهره وترتيبها وتحريم أربعة منها، واختيار المشبه به مما يسند إلى الله (تعالى) خَلْقاً وصنعاً، يضفي عليه عظمة ورفعة بعظمة ورفعة الخالق، وهذه الصفة اكتسبها المشبه في حال التشبيه فزاده قوة وبياناً وتمكيناً"[٣].

---

[١] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٤٦.

[٢] – وردت بلفظ (التي)، في بحث التصوير البياني في خطبة الوداع ١٤٦.

[٣] – المرجع السابق ١٤٦، ١٤٧.

وهذا التشبيه الأول ممهد لتشبيه مركب ثان، تقول القارئة: "والمشبه والمشبه به عقليان، كلاهما معروف لدى السامعين، كما أن المشبه به أتت هيئته أو صفته مفصلة تفصيلاً مبيناً مركب ممهد لمجيء تشبيه آخر أراد الرسول أن يمكن ويرسخ معناه في النفوس، وذلك لنه مما استجد من أمور التشريع حيث قال: (فإن دماءكم وأموالكم- قال: وأحسبه قال: وأعراضكم- عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) فشبه حال عظم حرمة سفك الدماء وغصب الأموال بين الناس في الإسلام بحال عظم حرمة مكة في شهر ذي الحجة في يوم عرفة، والجامع هو هيئة حاصلة من عظم الحرمة وحصول القداسة، مع لزوم عدم التعدي"[1].

ولم تكتف القارئة بالحديث عن الموضع الخاص بالتصوير البياني فقط بل برز لها استنباطات قيمة أثبتتها في البحث، وهذا بالتأكيد له أثره الإيجابي على المتلقي، ومن ذلك قولها في هذا التشبيه: "وكان الجمع في قول المصطفى (إن دماءكم وأموالكم – وأحسبه قال وأعراضكم- عليكم حرام) دعامة من دعائم قيام الصورة البيانية بالمعنى، فجمع بين الدماء والأموال والأعراض وجعلها جميعها داخلة في حكم التحريم... ثم أتى بالصورة البيانية لتفخيم هذا التحريم وتغليظه"[2].

وربطت القارئة بين التشبيهات الثلاثة التي استخرجتها، "فالخطبة بأكملها وحدة متكاملة، إذ شرع فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) أموراً تبين حرصه على المسلمين، وحرصه على حقن الدماء، وحفظ الأموال

---

[1] – المرجع السابق ١٤٧.

[2] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٤٨.

والأعراض، ويظهر هذا المعنى من أول تشبيه مركب استخدمه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الخطبة حيث أكد على الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال.... ثم أتى بتشبيه مركب آخر يعبر عن المعنى نفسه ويؤكد عليه، ولكنه أعم وأشمل، فحرم الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض عامة، حتى لا يظن بتحريمها فقط في الأشهر الحرم خاصة"[١].

كما ذكرت تشبيهاً ثالثاً: "فوصف قتال المسلمين، واعتدائهم على بعضهم بعضاً بعمل الكفار، وخصص منه ضربهم رقاب بعض، فقصد هذا التشبيه إلى تشنيع الاعتداء على الحرمات إذ به يوصف الكفار والضلال، كما قصد كذلك إلى تصوير عمل المسلمين حال اعتدائهم على بعضهم بالرجوع عن السنة واتخاذهم الكفار قدوة ومثلاً بدلاً من رسولهم"[٢].

ورأت القارئة أن بين هذه التشبيهات الثلاثة صلة تجمعهم، تقول: "عناصر الخطبة جميعها تآزرت وترتبت لتقرير وتثبيت ما استجد من التشريع، فما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليقرر حرمة الدماء والأقوال والأعراض، قبل أن يقرر عود الزمان إلى ترتيبه الأصلي، وتحريم أربعة أشهر من كل سنة فيه، وما كان لينفر من صفات الكافرين التي من أبرزها القتل وضرب الرقاب إلا بعد أن يقرر حرمة الدماء والأموال والأعراض، فأتى التشبيه الأخير ليزيد من تمكين المعاني وتقريها وليضاعف من أثرها فقامت التشبيهات المركبة مجتمعة بتصوير الاعتداء بكل أنواعه صورة مغلظة تنفر منها الطباع وتعمل على الابتعاد عنها طاعة لأمر ربها

---

[١] – المرجع السابق ١٤٩، ١٥٠.

[٢] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٥١.

ورسوله (صلى الله عليه وسلم) بأسلوب بعيد موجز عن الإطناب الممل كما شهد بذلك (صلى الله عليه وسلم) حينما قال عن نفسه: (وأوتيت جوامع الكلم)"[1]"[2].

وقد اهتمت القارئة بعرض رواية أخرى لخطبة الوداع هي في صحيح مسلم، كتاب (الحج) باب: حجة النبي، وإثباتها لهذه الرواية دليل على حرصها، ومن كلامها يفهم سبب عرضها لهذه الرواية الثانية تقول: "وزيادة في الإيضاح واستكمالاً للمعاني نطرح رواية أخرى لخطبة الوادع؛ لأن فيها زيادة على الصور البيانية الموجودة في الرواية الأولى"[3].

لا شك أن القارئة تهدف من عرض الرواية الثانية –وهي من كتب الصحيح أيضاً– إلى استكمال ما بدأته وتحقيق الهدف الذي رامت إليه مذ شرعت في كتابة بحثها بهذا العنوان الذي اختارته له، وإيماناً بالدور الذي عليها فقد ذكرت الواية الثانية، ومن ثم فإنها بدأت في تحليل الرواية الثانية تحت عنوان (الإيضاح) كما فعلت مع الرواية الأولى، والقارئة محقة تماماً بعرضها الرواية الثانية؛ لأن فيها ما يمنح البحث والمتلقي ثراء وإثراءً حيث استخرجت صوراً أخرى، فهذه كناية في قوله (صلى الله عليه وسلم): "ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع"، تقول القارئة معلقة على كلام رسولنا الكريم: "وهي عبارة كنى فيها المصطفى عن صفة الإبطال والترك مع الاحتقار لكل أمر من أمور الجاهلية حتى أصبحت أمور

---

[1] – صحيح مسلم، واللفظ في صحيح مسلم: (أعطيت جوامع الكلم)، و(بعثت بجوامع الكلم)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، ٣٧٢/١، رقم (٥٢٣).

[2] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٥٢.

[3] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٥٢.

الجاهلية وعاداتها كالشيء الموضوع تحت القدم في العصر الإسلامي"[١]. مستشهدة بقول أبي الطيب في كتابه: (عون المعبود بشرح سنن أبي داود) فقول: "تحت قدمي موضوع أي كالشيء الموضوع تحت قدمي، وهو مجاز عن إبطاله، والمعنى: عفوت عن كل شيء فعله رجل قبل الإسلام حتى صار كالشيء الموضوع تحت القدم"[٢].

وبلاغة الكناية التي استعملها المصطفى (صلى الله عليه وسلم) تبرز في تمثيل المعنى للذهن بجزئيات محسوسة يستدل بمجموعها عليه، وتبرز كذلك في تأكيد المعنى بتصويره تصويراً واضحاً مصحوباً بما يؤيده. فالكناية عن إبطال الشيء وإهماله بوضعه عند القدم قد أدى المعنى مصحوباً بدليله.... وذلك أوقع في النفس وآكد لإثباته، كما أن الكناية مبالغة في ازدراء واحتقار الإسلام لمآثر الجاهلية.... فأدت الكناية الغرض المقصود من ورائها، وأدت الفائدة المرجوة منها بلفظ مناسب ملائم للمعنى"[٣].

"ونختم الحديث عن هذه الكناية بقول الشريف الرضي: وهذا القول مجاز، والمراد به إذلال أمر الجاهلية، وحط أعلامها، ونقض أحكامها، كما

---

[١] – المرجع السابق ١٥٤.

[٢] – في كتاب التصوير البياني في خطبة الوداع ١٥٤، وفي كتاب: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، ٢٦٢/٥، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

[٣] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٥٥.

يستذل الشيء الموطوء الذي تدوسه الأخامص الساعية والأقدام الواطئة، فلا يبقى منه مرفوع إلا وضع، ولا قائم إلا صرع"[1].

ملاحظات عامة:

١- أما عن منهج القارئة في استخراج الصور، فقد كانت تستخرج الصورة، وتحدد موضع الشاهد من الخطبة ثم تؤكد عليها بالرجوع للشاهد ذاته في كتب التراث التي اهتمت بتحليل البيان النبوي، فكان كلاماً أكثر تأكيداً وأقوى نفعاً وأشد توثيقاً.

٢-البحث يتسم بعدم التناسق في عرض الموضوعات بما يتلاءم مع العنوان، أذكر دليل ذلك، أولاً: أن القارئة في تعريفها للصورة ذكرت آراء العلماء الأوائل مفصلة بينما اكتفت عند الحديث عن آراء الكتاب المتأخرين بذكر أسمائهم فقط دون ذكر آرائهم ثم الإحالة في الحاشية إلى اسم الكتاب ورقم الصفحة فقط دون ذكر الرأي ذاته، وهذه في رأيي طريقة معجمية إذ كان ينبغي ذكر أبرز الآراء وأكثرها قيمة في صلب البحث وعدم الاكتفاء بالإشارة إلى اسم الكتاب ورقم الصفحة؛ لأن في هذا إرهاق للمتلقي، والأصل أن القاريء عليه أن ينفع متلقي القراءة بما قد توفر لديه بالفعل من معلومات تصب في مصلحة البحث والمتلقي لا أن يرهقه بإحالته إلى كتب أخرى بحثاً عن لب الموضوع، وبحثاً عن أمور هي من صلب البحث وصميم عمل الباحث! أما إن كان يحيله إلى كتب أخرى للتزود المعرفي، فلا مانع.

---

[1] – المجازات النبوية ١٠٢، التصوير البياني في خطبة الوداع ١٥٧.

٣-البحث يركز على الجانب النظري أكثر من الجانب التطبيقي، وكان ينبغي حدوث العكس؛ لأن المجال هنا ليس مجال تقعيد القواعد بهذا الشكل المطول حيث الكشف عن تاريخ الصورة ومعنى البيان ثم تعريف الخطبة، تقول القارئة: "وإذ عرفنا معنى الصورة والتصوير فإننا يجب أن نتطرق لمعنى البيان حتى نصل إلى فهم مصطلح (التصوير البياني) الذي تعمل القارئة على درسه، وتحليل طرقه وأساليبه في خطبة الوداع"[١] ثم شرعت في تعريف البيان بادئة بالكشف عن صيغه ومشتقاته في القرآن الكريم ثم آراء العلماء وصولاً إلى السكاكي[٢] (ت٦٢٦هـ) مروراً بالإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تقول: "ونلتقي بالعلامة عبد القاهر الجرجاني فإذا به يجمع إلى البيان البلاغة والفصاحة والبراعة ويذكر أنها جميعاً مما يفضل به القائلون على بعض، وأنها تقصد إلى الإخبار عن المقاصد والأغراض، والكشف عما في القلوب والضمائر"[٣]، والقارئة تقصد بكلامها هذا قول الإمام عبد القاهر الجرجاني " في تحقيق القول على (البلاغة) و (الفصاحة)، و (البيان) و (البراعة)، وكل ما شاكل ذلك، مما يُعبَّر به عن فضلِ بعضِ القائلين على بعضٍ، من حيثُ نَطقوا وتكلَّموا، وأخبروا

---

[١] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٣٩.

[٢] – عرفه السكاكي بقوله: "معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه". مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ١٦٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

[٣] – دلائل الإعجاز ٤٣.

السامعين عن الأغراض والمقاصد، وواموا أنْ يُعْلِمُوهم ما في نفوسهم؛ ويَكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"[١].

إن أغلب ما ذكرته القارئة من تعريفات ومن آراء للعلماء حولها مجرد تنظير ونقل للقواعد من المصادر الأصلية، ولو تم الاختصار أو ذكر الزيادات في الحاشية لكان أفضل وأبعد عن الحشو والإطالة وأقرب وصولاً للمراد، وأكثر إشباعاً لرغبة المتلقي في التزود بالمعرفة والدخول في التحليل التطبيقي لمضمون الخطبة.

٤-ومن الملاحظات أيضاً أن البحث قد ذُيِّلَ بمراجعه وملخص له بالعربية ثم الانجليزية (summary) ثم فهرس الموضوعات إلا أنه لم يشتمل على الخاتمة التي كان من الأجمل إرفاقها بالبحث؛ لأنها بالطبع كانت ستضم أبرز النتائج، وفي هذا عون كبير للقاريء على الحصول على ملخص سريع لأبرز ما ورد في البحث، وفي الخاتمة أيضاً جذب وتشويق للعودة للصفحة الأولى من البحث، وعلى الرغم من عدم ذكر الخاتمة فإن القاريء يمكنه أن يستنبط بمفرده النتائج فيما كتبته القارئة في (ملخص البحث بالعربية) حيث ذكرت في هذا الملخص ما يمكن أن نعده إحدى النتائج المهمة ألا وهو قولها: "والصور البيانية النبوية اختصت بالشرف والعلو والرفعة؛ لتضمنها موضوعات القرآن الكريم، فكانت مفسرة ومبينة لمعانيه، ومؤكدة على أهدافه ومراميه. وساعد الصور البيانية على بلوغ الغاية استخدام الأساليب البلاغية الأخرى، فكان الإخبار والإنشاء يسيران جنباً إلى جنب لإيضاح المعنى. وقد تحتوي الخطبة على أكثر من صورة بيانية، وقد

---

[١] – المصدر السابق ٤٣.

تتداخل أحياناً، ولكنها تسير جنباً إلى جنب لتحقيق المقصود الأعظم في الخطبة"[١].

القراءة الرابعة:

تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، خطبة الوداع نموذجاً[٢]

رأيت أهمية تناول هذه القراءة؛ لأنها اشتملت على كل ما تناولته القراءات السابقة، فلم تقتصر على التصوير البياني كما لم تقتصر على الظواهر الأسلوبية العامة للخطبة، إن هذا البحث يعد أكثر شمولية في التحليل البلاغي من البحوث الأخرى التي ذكرتها آنفاً.

في مقدمة البحث:

"فيحاول هذا البحث تناول آلية من آليات البيان، تتعلق بالحجاج في خطبة الوداع، وقد اتكأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الخطاب الحجاجي في أسلوبه؛ للتأثير على المخاطب واستمالة النفوس والعقول إليه، فاتخذ من أساليب الحجاج والاستدلال والجدال والإقناع ما هو جدير برسالته، فجاء أسلوبه مقنعاً دافعاً إلى التفكير والتأمل"[٣].

---

[١] – التصوير البياني في خطبة الوداع ١٦٥.

[٢] – تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، خطبة الوداع نموذجاً، المؤلف: د. وفاء أحمد جابر، أستاذ البلاغة والنقد المساعد– كلية العلوم والآداب بالرس– جامعة القصيم، مجلة البحث العلمي في الآداب، الناشر: جامعة عين شمس– كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، ج٩، ع ١٩، الصفحات: من (٤٩٧–٥٢٤)، سنة ٢٠١٨م.

[٣] – المرجع السابق ٤٩٩.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي، وفيه يتم الكشف عن آليات الحجاج، تقول الباحثة: "وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، وهو مناسب لهذا النوع من الدراسات لما يفيد من وصف الظواهر الحجاجية وتجليتها وتحليل الشواهد وفق آليات الحجاج"[١].

خطة البحث:

بني هذا البحث من مقدمة، جاء فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ثم مدخل للحديث عن مفهوم الحجاج قديماً وحديثاً، يليه ثلاثة مباحث: "المبحث الأول بعنوان: آليات الحجاج اللغوية، درس فيه الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، ووسائل الحجاج اللغوية (الأمر والنهي والاستفهام)، والمبحث الثاني دُرس فيه آليات الحجاج البلاغية البيانية (التشبيه)، والبديعية (التكرار – المقابلة) ثم جاء المبحث الثالث لدراسة العدول التركيبي وأثره في الحجاج عولج فيه التقديم والتأخير والحذف"[٢].

بعد العودة للمعاجم اللغوية استخلصت الكاتبة نتيجة "في ضوء ما سبق يتضح لنا أن مادة (ح.ج.ج) تدور في المعاجم العربية حول معنى تحقيق الغلبة عند المخاصمة أو المجادلة باستخدام البرهان، والدليل للوصول إلى النتيجة المطلوبة، ومن ثم كان الحجاج وسيلة للتغلب على الخصم وإقناعه بمقبولية الرأي الآخر"[٣].

---

[١] – التصوير البياني في خطبة الوداع ٤٩٩.

[٢] – المرجع السابق ٥٠٠.

[٣] – المرجع السابق ٥١١.

نص الخطبة:

لم يرد في هذا البحث نص الخطبة، وكان ينبغي إيراده؛ لأنه ليس محفوظاً عن ظهر قلب لدى عموم المسلمين.

وللحجاج آليات لغوية وبلاغية، والأمر والنهي من آليات الحجاج اللغوية: "حيث إنهما يهدفان إلى توجيه المخاطب إلى سلوك معين، ومن أمثلتهما الواردة في الخطبة قوله (صلى الله عليه وسلم): "أيها الناس (اسمعوا قولي)، وقال أيضاً: (اسمعوا قولي واعقلوه) فكرر هذا الفعل أكثر من مرة، وهذه الأفعال التي صدرت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تكتسب بعداً حجاجياً، إذ تضمنت حجة تفضي إلى نتيجة ضمنية هي الاهتمام بما سيصدر عنه (صلى الله عليه وسلم) من وصايا وتوجيهات، والحقيقة أن الأمر هنا لم يكن أمراً حقيقياً بمفهومه الجاف الفج الذي يحمل بين طياته صفة القوة والشدة، فليس من المعقول أن يستهل (صلى الله عليه وسلم) خطبته استهلالاً رقيقاً ثم يعدل عن ذلك مباشرة ويستخدم الأمر الجاف، رغم أنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بإمكانه أن يأمر فيطاع على الفور، ولكنه (صلى الله عليه وسلم) أرفع وأسمى من ذلك، فإن الأمر هنا من قبيل الأمر المجازي، وجاء به للفت أنظار أمته وتوجيههم وتنبيههم لما سيوصي به من أمور"[١].

[١] – التصوير البياني في خطبة الوداع ٤٩٩.

من أول قولها: (فليس من المعقول) قرأته في البحث الأول السابق (خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية)[١]، وربما نسيت القارئة الإشارة إلى هذا المصدر.

وقوله: "(ألا ليبلغ الشاهد الغائب، اللهم اشهد) جاء الأمر هنا؛ لتقوية الحجة والوصول إلى نتيجة ضمنية مفادها أهمية مضمون خطابه (صلى الله عليه وسلم) لعموم الناس، حيث إنه يشعر بدنو أجله، لذا فأمر أن يبلغ الحاضر الغائب"[٢].

"وأما النهي فيظهر في الخطبة في قوله (صلى الله عليه وسلم): (فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم. اللهم هل بلغت؟ وإنكم ستلقون ربكم، فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض) وقد استخدم النبي (صلى الله عليه وسلم) النهي التحذيري (لا يحل، لا تظلمن)؛ لتقوية الحجة التي يريد التأكيد عليها، وهي أن المسلمين إخوة فيصل إلى نتيجة واحدة وهي عدم ظلم الإنسان لنفسه بأخذ مال أخيه بدون رضاه، وكذلك النهي: (لا ترجعوا)؛ لتقوية الحجة، وهي عدم العودة إلى الضلال والكفر؛ للوصول إلى نتيجة واحدة، وهي التمسك بدين الله والمحافظة على حدوده وآدابه"[٣].

---

[١] – خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية ٤١٤.

[٢] – تجليات الحجاج في الخطاب النبوي (خطبة الوداع نموذجاً) ٥١١.

[٣] – المرجع السابق ٥١٢.

ومن الملاحظ ورود أخطاء اتفق فيها هذا البحث مع البحث السابق المعنون بـ (الظواهر الفنية والجمالية لخطبة الوداع): إذ ألاحظ أنها جعلت (لا يحل) من قبيل النهي التحذيري، وهذا خطأ علمي.

وفي **المبحث الثاني** تناولت آليات الحجاج البلاغية التي اشتملت عليها خطبة الوداع، والتي تمثلت في آليات الحجاج البيانية (التشبيهية)، وآليات الحجاج البديعية، أما عن آليات الحجاج البيانية (التشبيه): "فيعد التشبيه من الوسائل الحجاجية القوية.... حيث يشرك المتلقي في العملية الحجاجية بإثارة ذهنه، وشغل تفكيره بالبحث عن العلاقة التي تربط بين المشبه والمشبه به ومن ثم يكون التشبيه أدعى إلى إقناعه"[١].

ومن أمثلة الاحتجاج بالتشبيه في خطبة الوداع، قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقون ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة [شهركم][٢] هذا في بلدكم هذا) ففي سياق الحديث عن الحرمات التي حرمها الله من دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، والتي تعد من أكبر القضايا في حياة المسلمز وحاول (صلى الله عليه وسلم) توضيح هذا الأمر، فجاء بالتشبيه المرسل، فشبه هذه الأمور المحرمة (الدم والمال والعرض) بأمور معروفة الحرمة في نفوس المخاطبين وذات رهبة في وجدانهم وذلك بجامع الحرمة، فكما حرم القتال في يومهم هذا وشهرهم وبلدهم، فكذلك حرم عليه مسفك الدماء ةأخذ أموال الناس

---

[١] – تجليات الحجاج في الخطاب النبوي (خطبة الوداع نموذجاً) ٥١٢.

[٢] – سقطت من صلب البحث، فأثبته، تجليات الحجاج في الخطاب النبوي (خطبة الوداع نموذجاً) ٥١٢.

بالباطل والخوض في الأعراض، ومن ثم كان للتشبيه أثر في تأكيد الحجة ودعمها"[١].

كذلك زادت على من سبقوها، بذكر التشبيه البليغ في قوله (صلى الله عليه وسلم): "فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئاً"، "فاستخدم التشبيه البليغ، فشبه النساء بالأسيرات الضعيفات، فقد ملكها الرجل؛ لذا لا بد أن يراعي الله فيها ويعاملها بعطف وود ورحمة، وبذلك كان للتشبيه عظيم الأثر في توضيح العلاقة بين الرجل والمرأة"[٢].

"ومن آليات الحجاج الآليات البديعية، فيعد التكرار من اهم خصائص بنية النص الشعري طوقد استعمل النبي (صلى الله عليه وسلم) أسلوب التكرار وجعله من أهم الوسائل التي استخدمها في الدعوة وطريقة من طرق التبليغ، ويلاحظ بروز ظاهرة التكرار في الخطبة، فكرر الحرف والكلمة والمضمون، وكان له هدف في ذلك، كتأكيد المعنى أو التحذير منه، أو الترغيب فيه أو زيادة للتنبيه أو لإشعار المخاطبين بأهمية المكرر"[٣].

"ومن صور التكرار في الخطبة قوله: (صلى الله عليه وسلم): (ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه

---

[١] – المرجع السابق ٥١٢.

[٢] – تجليات الحجاج في الخطاب النبوي (خطبة الوداع نموذجاً) ٥١٣.

[٣] – المرجع السابق ٥١٣.

لا ربا، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله) فالملاحظ هنا أن الفقرة ارتكزت على التكرار، فالحديث هنا في سياق الاحتجاج لرفض الرسول (صلى الله عليه وسلم) لكل ما كان من أمر الجاهلية، فكرر حرف التوكيد (إن – أن) ست مرات، وكرر لفظ (موضوع) أربع مرات، كما يلاحظ تكرار النبي (صلى الله عليه وسلم) لفكرة تحريم الربا، كل هذا ليؤكد حجته، ويصل لنتيجة مفادها تحريم كل ما كان من أمر الجاهلية، وقد ساهم التوكيد في دعم وتقرير الحجة"[١].

ومن أمثلة التكرار التي ذكرتها القارئة كذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) "هل بلغت" "فتكررت سبع مرات في الخطبة، ففي سياق الاحتجاج لمضمون القضايا الدينية والدنيوية، التي يتناولها الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتي تخص المسلمين، وأنه يريد أن يبريء ذمته؛ ليكون راضياً عن نفسه غير شاعر بقصور أو تهاون، فكرر هذا السؤال؛ ليؤكد حجته"[٢].

وذكرت من صور التكرار في الخطبة كذلك ما يسمى بـ (هندسة العبارات) (التوازن النحوي)، "وهي أن تكون العبارات متناسقة ومتوازنة في عدد كلماتها ووزنها، بأن يكرر المبدع التركيب في العبارة بنفس الترتيب النحوي"[٣]، واستشهدت بقوله (صلى الله عليه وسلم): "من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له"، "ويبدو التكرار هنا جلياً فقد كرر الرسول (صلى الله عليه وسلم) نفس البناء التركيبي، وهذا دليل على براعته في

---

[١] – تجليات الحجاج في الخطاب النبوي (خطبة الوداع نموذجاً) ٥١٤.

[٢] – المرجع السابق ٥١٤.

[٣] – المرجع السابق ٥١٤.

استثمار مفردات اللغة، فهذا التلاحم بين العبارات منح الجمل إيقاعاً موسيقياً، تلذ الأذن بتتبعه والتفاعل معه، والتكرار يسلط الضوء على الفكرة المسيطرة على النبي (صلى الله عليه وسلم) والحجة التي يريد تأكيدها، وهي أهمية القرب من الله ومحاولة إرضائه، فكرر النبي (صلى الله عليه وسلم) نفس التركيب، ويكون التركيب المكرر هو: حرف الشرط+ فعل الشرط+ جواب الشرط مقترناً بلا+ الجار والمجرور"[١].

ومن أمثلة ذلك "تكرار النعت والمنعوت أيضاً في قوله (صلى الله عليه وسلم) (هذا بلد حرام، وشهر حرام، ويوم حرام) في سياق تأكيد حجة التحذير من حرمات الله وتشبيهها بحرمة اليوم والشهر والبلد. يكرر نفس التركيب والبناء النحوي في قوله: (صلى الله عليه وسلم): (فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله) في سياق الاحتجاج على موقف أهل الجاهلية في عملهم بالنسيء للتحايل على الاستمرار في الأشهر الحرم"[٢].

ومن صور التضاد أو الطباق قوله (صلى الله عليه وسلم): "فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله" ففي سياق التحذير من التحريف بالأشهر والتلاعب بعدتها، جاءت المقابلة في الاحتجاج للتأكيد على خطورة هذا الأمر، ووجوب احترام الزمن كما أوجده الله"[٣].

---

[١] – تجليات الحجاج في الخطاب النبوي (خطبة الوداع نموذجاً) ٥١٥.

[٢] – المرجع السابق ٥١٦.

[٣] – المرجع السابق ٥١٧.

وفي المبحث الثالث والذي جاء بعنوان: (العدول التركيبي وأثره في الحجاج)، ويقصد بالعدول التركيبي في الحجاج ما يحدث من "تغييرات داخل الجملة العربية من تقديم أو تأخير، وذكر وحذف"[١].

ومن شواهد التقديم والتأخير في الخطبة "قوله (صلى الله عليه وسلم): ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقون ربكم، فقدم الخبر (عليكم) على المبتدأ، ورغم أن التقديم هنا واجب إلا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان له غاية معنوية في تقوية الحجة والوصول إلى نتيجة مفادها التحذير من حرمة الدماء والأموال والأعراض، وتخصيص هذه الحرمة على المخاطبين فضلاً عن التناغم اللفظي الحادث من التقديم والتأخير"[٢].

أما عن (الحذف) فمن شواهده: "حذف حرف النداء في قوله: (أيها الناس) والتي تكررت في الخطبة سبع مرات حيث حذفها يفيد الشعور بالقرب المكاني، والتودد والتلطف بين النبي (صلى الله عليه وسلم) والمخاطبين.... فجاء النداء في سياق الاحتجاج؛ للاهتمام بما يقوله النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولكن بنوع من الرحمة والعطف"[٣].

وللحذف مواضع كثيرة في الخطبة، تقول القارئة: "وجاء كذلك حذف الضمير في أكثر من موضع مثل قوله: (من يهد الله، ومن يضلل)، والتقدير: من يهده، ومن يضلله، وقوله أيضاً: (مما تحقرون)، والتقدير: مما تحقرونه، كذلك حذف المفعول به في قوله: (فإن فعلن....) والتقدير: فإن

---

[١] – االمرجع السابق ٥١٧.

[٢] – تجليات الحجاج في الخطاب النبوي (خطبة الوداع نموذجاً) ٥١٨.

[٣] – المرجع السابق ٥١٩، ٥٢٠.

فعلن الفاحشة، وكل صور الحذف هذه استخدمها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في سياق تأكيده على ما يقول، ومحاولة الإفادة من الإيجاز الناشيء عن الحذف والحرص على خفة الألفاظ والتئام بعضها مع بعض، والحفاظ على توازن العبارات، إضافة إلى دواع أخرى اضطرته للحذف كصيانة لسانه عن المحذوف تحقيراً له كما في حذفه (فإن فعلن)"[١].

خاتمة البحث: ذيل هذا البحث بخاتمة اشتملت على أبرز النتائج، ومنها:

- "قدرة النبي (صلى الله عليه وسلم) على تملك أدوات اللغة، وتوظيفها توظيفاً يدعم حججه"[٢].
- "استخدم النبي تقنيات حجاجية متعددة منها آليات لغوية تتمثل في استعمال الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، كما استعمل الأفعال الكلامية كالاستفهام والأمر والنهي قصد الإفهام ولفت انتباه المخاطبين"[٣].

– "اعتمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الآليات الحجاجية البلاغية البيانية والبديعية"[٤].

– كما استخدم العدول التركيبي المتمثل في التقديم والتأخير والحذف "فهو يحمل بين طياته دعوة إلى جذب انتباه المتلقي وإقناعه بما يرمي إليه المخاطب، وهذا هو الهدف من الحجاج"[٥].

---

[١] – المرجع السابق ٥٢٠.

[٢] – تجليات الحجاج في الخطاب النبوي (خطبة الوداع نموذجاً) ٥٢١.

[٣] – المرجع السابق ٥٢١.

[٤] – المرجع السابق ٥٢١.

[٥] – المرجع السابق ٥٢١.

ويحسب للقارئة لجوئها إلى (الحجاج) كأحد القراءات المعاصرة وتطبيقها على نص قديم – منذ صدوره، حديث متجدد على مر العصور– وقد بدا عمق تفكيرها في قراءة النص، كما امتاز أسلوبها بسلامة اللغة، وعدم الانسياق وراء القراءات السابقة بل كان لأسلوبها دور كبير في إقناع متلقي القراءة.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن جذور لنظرية التلقي في التراث النقدي والبلاغي القديم، وتوصلت إلى عناية الساحة النقدية قديماً بكل طرف من أطراف العملية الإبداعية الثلاثة (المبدع والمتلقي والنص)، مما يعكس وعيهم وقناعتهم التامة بمنح الحرية الفكرية للمتلقي وحقه المؤكد في استقبال النص بما يتناسب مع أحواله المعرفية وقدراته الثقافية، وفيما يلي خلاصة البحث وأبرز النتائج:

١. إن المطلع على آراء القدامي يجد أنهم قد عنوا عناية كبيرة بالمتلقي ودوره في تناول النصوص وبيان جمالياتها، الأمر الذي يثبت أن تناول أي نص أدبي تحت مفهوم (نظرية التلقي) لا يعد تقليداً لمستحدثات الثقافات الأخرى بل إنه لا يعدو أن يكون بعثاً وإحياء لمنهج اتفق عليه علماؤنا الأجلاء، وفكرة ألحوا عليها في بطون أمهات الكتب، باعتبار المخاطب عنصراً أساسياً في التلقي ومشاركاً مهماً في العملية الإبداعية، وقد تبين أنها قضية لها جذور في التراث العربي، فهي ليست حديثة عهد على الساحة الأدبية النقدية العربية.

٢. وفي الوقت الذي عكف فيه العلماء قديماً على بيان إعجاز القرآن أستطيع أن أقول إن رائد البحث في البلاغة النبوية حديثاً هو الرافعي، فقد اتضحت أهمية الدور الكبير الذي قدمه الرافعي بكتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، حيث تميز منهج الرافعي بالأصالة والتفرد، والإتيان بأفكار جديدة فكان ملهماً لكثير من الباحثين.

٣. أكثر من تناولوا البلاغة النبوية قديماً وحديثاً فرقوا بين أسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي بغية إثبات أن يكون القرآن كلام الله عزوجل ونفي

أن يكون قائله هو محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولعل أبرز خاصية أسلوبية أشار إليها من تناولوا الحديث الشريف بالتحليل كشفاً عن بلاغته هي انفراد النبي (صلى الله عليه وسلم) بجوامع الكلم.

٤. إن البلاغة بما لديها من فنون وأدوات فعالة لا غنى عنها عند قراءة النص، جديرة بأن تحظى بباحثين هم في سعي دائم لصقل قدراتهم من أجل امتلاك مهارات النقد البلاغي عملاً بوصايا وتوجيهات إمام البلاغيين (عبد القاهر الجرجاني)، والتي تستخرج من بطون كتبه.

٥. ما زال الحديث النبوي بحاجة إلى القراءات الواعية الناقدة الثاقبة التي تغوص إلى أعماق النص؛ لتستخرج ما به من درر وتستوعب ما بداخله من مكامن الإعجاز ودلائل النبوة، فالكلام النبوي مليء بالأسرار البلاغية ومواطن الإعجاز.

٦. لعل كتابيّ (الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية)، و(السمات البلاغية في بيان النبوة) من أفضل الكتب التي أُفرِدت لبلاغة البيان النبوي الشريف؛ لشمولية هذه الكتب وسعيها للكشف عن أبرز الخصائص والسمات الأسلوبية للحديث الشريف.

٧. بالبحث تبين أن بعض الدراسات البلاغية لا يهتم مؤلفوها حين استشهادهم بالحديث النبوي الشريف بالتحقق من صحته كما لا يهتمون بتخريجه من مصادره الأصيلة، وهذه معضلة كبيرة إذ لا بد من الرجوع إلى المصادر الأصلية – أعني الكتب الستة – من أجل توثيق الحديث والتأكد من صحته، فالسنة النبوية محفوظة من عند الله (تعالى)، وهي أمانة بين أيادينا كذلك ويجب على الباحثين مراعاة توثيق الحديث النبوي الشريف من الكتب التي تهتم بالصحيح من الأحاديث النبوية كصحيحي البخاري ومسلم، أو تلك الكتب التي تحكم على الحديث بصحته من عدمها كسنن الترمذي.

٨. إن خير المرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي ينطق بوحي يوحى إليه، قد عنى في كلامه النبوي عناية كبيرة بالمتلقي، مقتدياً بالأسلوب القرآني في إيراد الحجج واستخدام وسائل الإقناع حتى لا يؤمن المتلقي إلا عن اقتناع وتصديق.

٩. النظرية الحجاجية من النظريات التي ينبغي أن يوجه الباحثين عنايتهم إليها وتطبيقها على النصوص.

١٠. قامت خطبة الوداع على البيان الحجاجي، وبالتالي فقد كان تطبيق النظرية الحجاجية عليها له أثر عظيم بغية الكشف عن جماليتها وخصائصها الأسلوبية.

١١. ألفاظ الخطبة جزلة، مما ييسر على المتلقي في كل زمان ومكان استنباط الشرائع والحكم والتوجيهات والتعاليم الدينية.

١٢. ضرورة التعامل مع النظريات والمناهج الحديثة بحكمة وحنكة، لاختيار ما يتناسب مع ثقافتنا العربية ولا يهدم ما أورثنا إياه علماؤنا الأفاضل البته.

١٣. الخاتمة من أساسيات كتابة البحث، ومن الواجب ألا يغفل الباحث عن ذكرها؛ لأنها تضم أبرز النتائج، وقد يرى الباحث أن يضيف إليها بعض المقترحات التي استنبطها حال التعايش مع بحثه، ووسائل جذب الكاتب لقرائه في رأيي تبدأ من العنوان ثم المقدمة ثم الخاتمة، ومن لا يهتم بذكر الخاتمة مُلام.

١٤. إن العكوف على قراءة السمات النبوية ومتابعة ومراجعة ما كتبه الباحثون في هذا الصدد يعد أساساً جيداً ينطلق منه الباحثون للكشف عن جديد في البيان النبوي لم يكشف عنه السابقون.

١٥. لا يستبعد لدى أي عاقل أن كتب التراث لا بد أن يكون فيها كثير من بذور النظريات التي ينبغي الكشف عنها وإخراجها للنور؛ خدمة للغة وللأمة.

مقترح أقدمه لأساتذتي الكرام علماء البلاغة المعنيين بالأمر:

بعد اطلاعي على كتاب (السمات البلاغية في بيان النبوة) للدكتور/ صبّاح عبيد دراز، وما به من إجادة في طريقة عرض كل فكرة، وما به من دقة في التحليل البلاغي للنصوص النبوية الشريفة بحيث إنه إذا كان بصدد حديث نبوي وكان غرضه الكشف عن أحد الفنون البلاغية وجدته لم يكتف بتناول هذا الفن البلاغي بل يحرص على ذكر ما يراه في نفس النص من الفنون البلاغية الأخرى، ولهذا كله، ولما فيه من إمتاع للقارىء بشكل عام والباحث البلاغي بشكل خاص فإني أقترح أن يقرر هذا الكتاب كمادة علمية في مجال (التطبيق البلاغي على البيان النبوي) على طلاب وطالبات جامعة الأزهر شعبة اللغة العربية، والله تعالى أسأل أن يجد هذا الاقتراح قبولاً؛ كي يمهد الطريق لهذا الجيل، ويفتح أمام أعينه آفاقاً جديدة واسعة، في براعة الكلام وبلاغة الأساليب، فينشأ جيل متذوق وبارع في تحليل النصوص متأنياً ومتأملاً جمالياتها.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

ببليوجرافيا دراسات بلاغية لخطبة الوداع[١]

١. الاتجاه الوظيفي في تعليمية البلاغة: خطبة حجة الوداع أنموذجا، يوسف يوسفي، جامعة حسيبة بن علي الشلف، الجزائر، الصفحات ٥٦- ٦٥، مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب، مجلة جسور المعرفة، مجلد ٦، العدد ٣، سبتمبر ٢٠٢٠م

٢. الأفعال الكلامية والأفعال الحجاجية في خطبة حجة الوداع للرسول (صلى الله عليه وسلم)، سعاد شابي، دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، ، العدد ٢٠، الصفحات من (١٠١- ١١١)، نوفمبر لسنة ٢٠١٦م.

٣. آليات الحجاج في خطبة النبي (صلى الله عليه وسلم) في خطبة الوداع، هاني علي سعيد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، الحولية ٣٦، الرسالة ٤٤٠، الصفحات من (١٠- ١١٠)، ديسمبر ٢٠١٥م.

٤. آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع للنبي (صلى الله عليه وسلم)، مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص اللسانيات النصية، من إعداد الطالبة: خديجة دكمة، نوقشت بتاريخ: ٢٢/ ٥/ ٢٠١٦م، أمام اللجنة المكونة من: الدكتور إبراهيم

---

[١] – بالرجوع إلى "ببليوجرافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين والتي قدمها د. محمد أبو المجد، الصادرة عن مكتبة الآداب- القاهرة ط١- ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م"، وعدد من مجلات كليات اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، وبعض المواقع المتخصصة الجادة والموثوق بها على شبكة الانترنت.

طبشى(رئيساً)، والدكتور أحمد التيجاني سي كبير(مشرفاً)، والدكتور أحمد بلخضر(مناقشاً)، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، السنة الجامعية: ٢٠١٥-٢٠١٦م.

٥. أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي، محمد بن حسن الزير، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ع ٨، الصفحات: ٢٩٥- ٣٥٠، المجلة محكمة، رجب/ يناير ١٩٩٣م.

٦. تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، خطبة الوداع نموذجاً، المؤلف: د. وفاء أحمد جابر، أستاذ البلاغة والنقد المساعد- كلية العلوم والآداب بالرس- جامعة القصيم، مجلة البحث العلمي في الآداب، الناشر: جامعة عين شمس- كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، ج٩، ع ١٩، الصفحات: ٤٩٧ – ٥٢٤، سنة ٢٠١٨م.

٧. الترداد والتكرار في البيان العربي دراسة أسلوبية في خطبة حجة الوداع للنبي (صلى الله عليه وسلم)، محمد الأمين خلادي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، مجلد٧، العدد ١٤،الصفحات: من (١٧٥-١٩٤)، محرم/ ديسمبر ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م.

٨. التصوير البياني في خطبة الوداع، تغريد بنت عبد العزيز سعد(المحاضر بقسم اللغة العربية تخصص البلاغة والنقد، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الآداب والعلوم الإدارية)، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، الناشر: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنصورة، ، ج١، ع٢٩، المجلة محكمة، الصفحات: ١٢٧- ١٦٧، ٢٠١٠م.

٩. الجمل المؤكدة في خطبة حجة الوداع، طلال بن عمر بن أحمد بادحدح، جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد٣٣ ، ج٩، الصفحات ١٠٢٣٧ – ١٠٢٦٦.

١٠. الجملة الفعلية في خطبة حجة الوداع: دراسة تركيبية دلالية، مصطفى أحمد قنبر، جامعة الجزائر ١ بن يوسف بن خدة، الصفحات: ٩٩ – ١٢٧ العدد ١١، ٢٠١٧م.

١١. حجاجية القيم في خطبة الوداع، كمال الزماني، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة، الجزائر، العدد ٢٥، المجلة محكمة، الصفحات: ١٩٣ – ٢١٤، ديسمبر ٢٠١٨م.

١٢. حروف المعاني في خطبة حجة الوداع، دراسة دلالية بلاغية، د. محمد علي مقابلة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، الصفحات من (٨١٣– ٨٥٨)، المجلد السابع من العدد السابع والعشرين.

١٣. خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية، جليل رشيد فالح، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، جليل رشيد فالح، العدد ١٣، الصفحات (٤٢٤– ٤٠٨)، سنة ١٩٨١م.

١٤. خطبة الوداع للرسول (صلى الله عليه وسلم) دراسة في ضوء آلية (الشعرية)، م. د. حيدر عبد الحسين، م. د. مصعب مكي، جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، العميد، تاريخ التسليم: ٢٧/ ١٢/ ٢٠١٨م، تاريخ القبول: ٢٠١٩/٥/٥م، الصفحات من ١٢٥– ١٤٨، السنة الثامنة، المجلد الثامن، العدد الثلاثون، شوال ١٤٤٠هـ– حُزَيران ٢٠١٩م.

١٥. خطبة حجة الوداع للنبي (صلى الله عليه وسلم) دراسة تحليلية في ضوء نظرية القوة الإيقاعية، إعداد: د. عبد الصبور أحمد الجالس مكي، مجلة كلية البنات الأزهرية بطيبة الجديدة بالأقصر، الصفحات ١٣٨٦-١٤٣٠، المقالة ١١، المجلد ٣، العدد ٢، ٢٠١٨م.

١٦. السبك النحوي في خطبة حجة الوداع، ميساء مصباح محمد القطاع، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر، ج١، ع١٢٤، الصفحات ١٣٧-١٥٩، سنة ٢٠٢١م.

١٧. الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية، غلامعباس رضائي هفتادر)، بحوث في اللغة العربية، نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان، العدد ٢١، خريف وشتاء ١٤٤١ هـ ق/ ١٣٩٨هـ. ش، المقالة: محكمة، الصفحات من (٥١ – ٧٤)، تاريخ التسليم ١٣٩٦/٢/٦هـ ش، تاريخ القبول ١٣٩٧/١٢/١٤.

١٨. العتبات النصية وتقنيات السرد في خطبة الوداع للرسول (صلى الله عليه وسلم)، معتصم غوادره، مجلة جامعة النجاح لأبحاث – العلوم الإنسانية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، المجلد: ٣٥، العدد ١٠، الصفحات: ١٦٣٧ – ١٦٥٢.

الفهارس

ثبت المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٢. الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ناظم عودة خضر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٩٧٧م.

٣. إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط٥، ١٩٩٧م.

٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، ٢٦٧، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجى، دار الجيل، بيروت، ط٣.

٦. ببليوجرافيا الرسائل العلمية في الجامعات المصرية منذ إنشائها حتى نهاية القرن العشرين والتي قدمها د. محمد أبو المجد، الصادرة عن مكتبة الآداب– القاهرة ط١– ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٧. البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٨. تاريخ آداب العرب للرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٩. تحت راية القرآن، مصطفى صادق الر افعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٨، ١٩٨٢م.

١٠. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١١. جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت ياوس، ترجمة: رشيد نبحدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.

١٢. الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د.كمال عز الدين، دار اقرأ، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

١٣. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٤. السمات البلاغية في بيان النبوة، الدكتور صبّاح عبيد دراز، مكتبة وهبه، القاهرة، ٢٠١٤م.

١٥. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.

١٦. صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

١٧. صحيح مسلم، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

١٨. عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، دار العالم العربي، ط٢، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

١٩. عمدة القاريء شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٢١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٢. الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية.

٢٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

٢٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأفريقي، دار صادر– بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

٢٦. المجازات النبوية، تأليف الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الحسيني الموسوي (ت ٤٠٦هـ)، علق عليه

ووضع حواشيه: كريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٧. المختار من كنوز السنة النبوية شرح أربعين حديثاً في أصول الدين، تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز (رحمه الله تعالى) عنى بنشره: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر.

٢٨. مداخل إعجاز القرآن، دار المدني بجدة، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٩. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٠. نظرية التلقي (مقدمة نقدية)، تأليف: روبرت هولب، ترجمة: دكتور/عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط١، ٢٠٠٠م.

الرسائل الجامعية:

٣١. نظرية التلقي النقدية وإجراءاتها التطبيقية في النقد العربي المعاصر، إعداد الطالب: أسامة عميرات، إشراف أزد: محمد رزمان، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النقد الأدبي المعاصر، الجمهورية الجزائرية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية: ١٤٣١-١٤٣٢هـ، ٢٠١٠-٢٠١١م.

الدوريات والمجلات العلمية:

٣٢. تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، خطبة الوداع نموذجاً، المؤلف: د. وفاء أحمد جابر، أستاذ البلاغة والنقد المساعد- كلية العلوم والآداب بالرس- جامعة القصيم، مجلة البحث العلمي في الآداب، الناشر: جامعة عين شمس- كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، ج٩، ع ١٩، الصفحات: من (٤٩٧-٥٢٤)، سنة ٢٠١٨م.

٣٣. التصوير البياني في خطبة الوداع، تغريد بنت عبد العزيز سعد(المحاضر بقسم اللغة العربية تخصص البلاغة والنقد، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الآداب والعلوم الإدارية)، المصدر: مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، الناشر: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنصورة، ج١، ع٢٩، المجلة محكمة، الصفحات: من (١٢٧- ١٦٧)، ٢٠١٠م.

٣٤. خطبة الوداع دراسة بلاغية تحليلية، جليل رشيد فالح (مدرس)، آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، العدد ١٣، الصفحات من (٤٢٤- ٤٠٨)، سنة ١٩٨١م.

٣٥. الظواهر الفنية والجمالية لخطبة حجة الوداع وميزاتها الأسلوبية، غلامعباس رضائي هفتادر)، بحوث في اللغة العربية، نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان، العدد ٢١، خريف وشتاء ١٤٤١ هـ ق/ ١٣٩٨هـ. ش، المقالة: محكمة، الصفحات من (٥١-٧٤)، تاريخ التسليم ١٣٩٦/٢/٦هـ ش، تاريخ القبول ١٣٩٧/١٢/١٤هـ.

٣٦. نظرية التلقي في ضوء الأدب المقارن، الدكتور/ سيد فضل الله ميرقادري، الدكتور/ حسين كياني، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد ١٨، صفحات البحث من ١-٢١، ربيع ١٣٩٠هـ - ٢٠١١م.

فهرس الموضوعات

مقدمة

المبحث الأول: التلقي في الفكر العربي والغربي

الصلة بين التلقي والبلاغة في النقد العربي القديم

التلقي في الفكر الغربي

في ميزان النقد

من وصايا وتوجيهات إمام البلاغيين للمتلقي

المبحث الثاني: التلقي البلاغي للبيان النبوي

أولاً: نماذج من تلقي البيان النبوي قديماً

ثانياً: نماذج من تلقي البيان النبوي حديثاً

المبحث الثالث: التلقي البلاغي لخطبة الوداع

القراءة الأولى:.

القراءة الثانية:

القراءة الثالثة:

القراءة الرابعة:

خاتمة

ببليوجرافيا دراسات بلاغية لخطبة الوداع

ثبت المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات